وزارة الإعلام
هيئة الاستعلامات

كتب مترجمة

٦٩٩

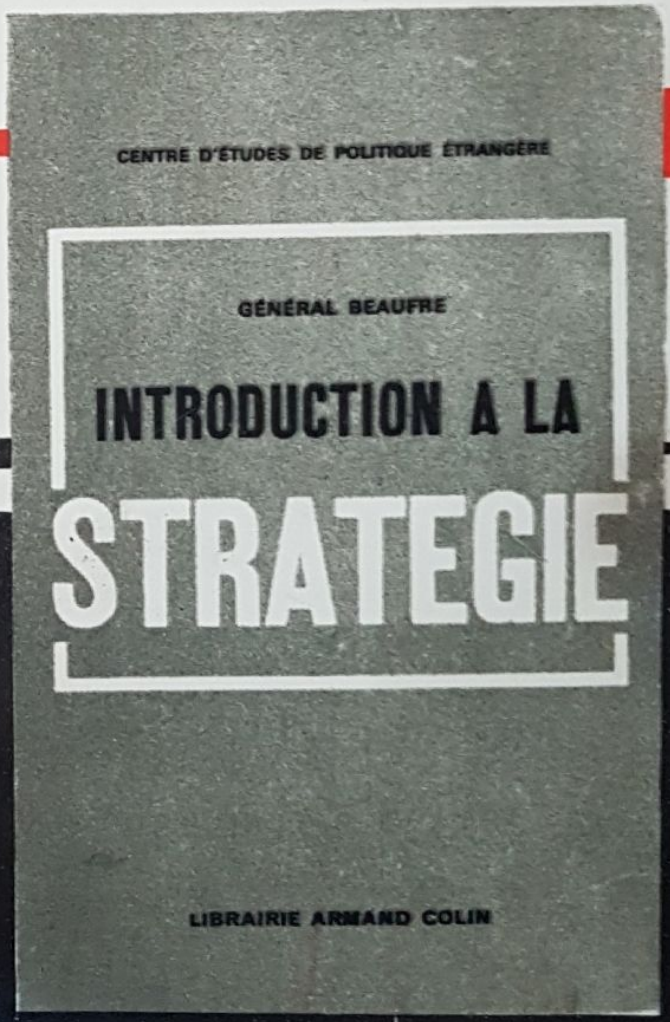

مدخل إلى

الاستراتيجيّة

بقلم: الجنرال بوفر

تقديم: د. هـ. ليدل هارت

وزارة الإعلام
هيئة الاستعلامات
كتب مترجمة
- ٦٩٩ -

مدخل إلى الاستراتيجية

بقلم : الجنرال بوفر
تقديم : د. هـ. ليدل هارت

انه يسمى كتابه : « مدخل الى الاستراتيجية » ولكن هذا العنوان متواضع الى درجة كبيرة وهو أمر سرعان مايحس به كل قارىء أو باحث عليم ببواطن الامور ، وفى الحقيقة فان كتابه يعد مرجعا للاستراتيجية الكاملة ، وأدق مؤلف كتب ونشر خلال هذا الجيل ، وهو يبذ بالنسبة للعديد من النقاط جميع المؤلفات السابقة . وهناك أمل كبير فى أن يصبح كتابا كلاسيكيا ، ومرجعا لهذا العلم · واذا كنت أحيانا أبتعد عن هذا المؤلف بالنسبة لكثير أو لبعض التفاصيل التفسيرية أو من حيث الصياغة فاننى متفق معه بالنسبة لكثير من النقاط الاخرى ، وأنا أبدى اغتباطى الكبير بهذه المساهمة القيمة فى ميدان الفكر حول عناصر الحرب الجوهرية ·

الكابتن : ب· هـ· ليدل هارت

مقـدمة (المؤلف)

قد يبدو تقديم كتاب عن الاستراتيجية فى عام ١٩٦٣ أمرا غاية فى الغرابة فلم يعد هناك أحد اليوم يؤمن بعبقرية الاستراتيجيين · لقد قضت عليهم الحروب التى تتخذ صفة الكوارث و « مقاهى التجارة » بجميع سذاجات التخيلات الشعبية بألوانها الزاهية للحضارات القديمة التى هى فى طريق الزوال ·

ان مشكلات الحرب والسلام فى عصرنا الذى أصبح ايجابيا ، وصناعيا ، وشعبيا وكأنها تنتمى للاساليب « التكتيكية » الاكثر تعقيدا : فهناك من ناحية أساليب التكنولوجية العلمية ، وهناك من ناحية أخرى الأساليب الأكثر غموضا الخاصة بالتكنولوجية السيكولوجية التى استنبطها السوفيت من ثورتهم · واذا كانت كلمة الاستراتيجية لازالت تستعمل كثيرا فى غير موضعها فان العلم والفن الاستراتيجى قد وضعا مع العونيات العتيقة بين علبة طباق فردريك الثانى وقبعة نابليون « وليس هناك غير « كلوزويتز » الذى لم يقرأه غير القليل من الناس ـ الذى يحتفظ ببعض الاهمية خاصة بسبب عبارات المديح التى كالها له لينين ، الامر الذى يجعله حتى الآن والى حد ما مرجعا علميا ·

ومع ذلك فان عالمنا يعاصر أحداثا ضخمة ، فمع بطء التاريخ الكبير تمر أمام أعيننا تقلبات انسانية هائلة وذلك منذ سقوط روما · لقد بدىء هنا وهناك على الرغم من عدم المبالاة السعيدة للشعوب ـ الامر الذى تريده بدون شك الطبيعة التى لا ترحم لتساعدنا على التغلب على هذه المحن الطويلة ـ البحث لتفهم الظاهرة وتوجيهها اذا أمكن · ان الاقتصاد الذى أعلن ماركس عن أولويته بدأ يخرج من الحدود التى كان يغط وراءها نوما ويصبح علما ـ أو على الاقل تكتيكا ـ فى مقدوره أن يتمخض عن نتائج أكثر ضمانا ـ ويتطور علم الاجتماع بسرعة ويجهز بحزم ميدانه الفسيح · وتجذب مشكلات الدفاع ذات الاهمية الصارخة عددا متزايدا من المحللين الذين يحاولون ، فى أمريكا على وجه الخصوص ، تجميع مجموعة المعارف التى بدأت الحاجة اليها تظهر وتتبلور ، وكانت الفكرة العامة والعامل المشترك ، أى الفلسفة والاستراتيجية اللتين تعتبران بحق علمين فقدا جدتهما وأهملا على الرغم من الاهتمام الذى أثير بشأنهما مؤخرا ، ينقصان فى هذا التطور السير للعلوم الانسانية ·

لقد جعلتنى تجربتى خلال أربعين سنة ، والتى كنت شاهدا وممثلا خلالها لغالبية الاحداث الهامة التى وقعت ، أوقن أننا لاقينا فى كثير من الاحيان الفشل بسبب غياب هذين المرشدين · لقد تجاذبتنا الرياح المتناقضة لعدم وجود فكرة عامة وفلسفة معينة ، خاضعين لهجوم الفلسفات الديناميكية التى ووجهنا بها · ولقد رأينا أن قيمتها الذاتية وهى قيمة ضعيفة غالبا ، تقل فى أهميتها عن تناسق هذه النظريات · وكنا دائما ، فى الوقت نفسه بسبب عدم وجود استراتيجية ، عاجزين عن فهم المناورات التى قصد بها الحد من نشاطنا، كما أننا وجهنا بانتظام جهودنا صوب الطرق المسدودة ·

لقد استطاع هتلر فى الفترة ما بين عام ١٩٣٦ ، وعام ١٩٣٩ بعد أنتحقق من عجزنا فى شهر مارس عام ١٩٣٦ ، أن يتقدم بخطوات واسعة · وترك ليعمل حتى عندما فاض بنا الكيل وقد رددنا بشن كارثة كان لايمكن أن تعود علينا الا بالوبال لاسيما وأن نظامنا العسكرى جميعه كان خاطئا لانه يرتكز فقط على « تكتيكات » كانت بالاضافة الى ذلك بالية · وانهارت فرنسا جاذبة معها أوروبا· وكان الاصلاح الذى تم من عام ١٩٤٢ الى عام ١٩٤٥ هو من عمل الانجلوساكسونيين المستندين الى فلسفة واستراتيجية معينة ، ولكننا فقدنا الاتجاه الصحيح مرة أخرى منذ احراز النصر بسبب الحركة الكبيرة للتحرر من الاستعمار فقد فقدت الهند الصينية نتيجة « لتكتيات » قيمة وقهرت بوساطة الاستراتيجية المعادية التى لم نستطع أن نواجهها بأية استراتيجية جديدة بهذه التسمية · ورغم هذه التجربة فان الجزائر كررت الاخطاء نفسها مع تضخيمها وانتهت حملة السويس التى تعتبر نصرا « تكتيكيا » بهزيمة سياسية فادحة وذلك لعدم وجود أقل فكرة عن الشروط الاستراتيجية الضرورية لنجاح مثل هذا المشروع ·

لم يقع اختيارى هنا على غير بعض الامثلة الفرنسية ، ولكننى أستطيع أن أرسم لوحة مماثلة سوداء أو بيضاء ، لكوريا وكوبا وبرلين ومنظمة حلف الاطلنطى · ان النتيجة التى تفرض نفسها على هى أن الجهل بالاستراتيجة كان ، الى حد كبير، بمثابة كارثة بالنسبة لنا ·

وأسباب هذا الجهل مثيرة للاهتمام · وسوف أستعرضها أثناء هذه الدراسة ولكن الشىء الهام الذى يجب ابرازه هو أن العزوف عن الاستراتيجية من جانب المنتصرين فى عام ١٩١٨ يرجع الى أن أحدا لم يعلمهم « الاستراتيجية » بل أستراتيجية قدمت على أنها جوهر الفن وقد ظهر أن هذه الاستراتيجية الخاصة خاطئة · ودفن المعبود دون أن يدرك أحد أن المآخذ الموجهة اليه ترجع الى أنه كان قد تعرض للخيانة من قبل ·

ان الاستراتيجية كما سنرى ليست فى الواقع مذهبا مفردا ولكن طريقة للتفكير تسمح بترتيب وسلسلة الاحداث ثم اختيار أكثر الوسائل فاعلية · فلكل وضع توجد استراتيجية خاصة ، وكل استراتيجية يمكن أن تكون خير الاستراتيجيات فى أحد الظروف الممكنة وأسوأها فى ظروف أخرى ، هذه هى الحقيقة الجوهرية ·

اننى لم أقتصر ـ بطبيعة الحال ـ فى اختيار الوسائل على تلك الوسائل ذات الطبيعة العسكرية لان الجميع يعلمون أن الحرب أصبحت شاملة بطريقة واضحة أى أنها تنشب فى الوقت نفسه فى جميع الميادين السياسية والاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية كما أن الحرب الباردة التى أسميتها « سلام ـ حرب » بعام ١٩٣٩(١) لها الصفات نفسها ولكن بدرجات مختلفة · وهكذا فانه لايمكن أن توجد استراتيجية كلية · ويثير ذلك ، بحدة أكبر ، مشكلة العلاقات بين السياسة والاستراتيجية ، ولكن هذا يتيح كذلك تفهما أكبر لميدان كل منهما· وينجم عن ذلك

---

(١) السلام ـ والحرب أو استراتيجية هتلر ، مجلة لى دى موند عدد ١٥ اغسطس ١٩٣٩ ·

كذلك أن الاستراتيجية لايمكن أن تظل حكرا على العسكريين · وأنا لا أرى من جانبى فى ذلك غير ميزات ومحاسن لانه عندما تفقد الاستراتيجية طابعها المتخصص الذى لايفهمه غير المتبحرين ، فانها يمكن أن تصبح كغيرها من العلوم وهو ماكان يجب أن تكون عليه دائما مجموعة معارف متراكمة تزداد ثراء فى كل جيل بدلا من كونها عملية استكشاف مستمرة تجىء نتيجة لصدق التجارب التى نمر بها ·

ان عصرنا يتسم بالصعوبة البالغة وقد أحرز الانسان العصرى سلطة بالغة على الطبيعة تجعلنا لانستطيع أن نستمر فى العمل بالوسائل البدائية ، كما فعلنا ذلك طويلا حتى الآن ·

ان الحرب التى كانت فى الماضى « لعبة » الملوك قد أصبحت اليوم عملية مملوءة بالاخطار الداهمة · لقد أصبحت مدنيتنا على حد تعبير الكلمة التى صاغها «ريمون آرون» فى حاجة الى «علم العمل» ويجب أن تقوم الاستراتيجية فى هذا العلم بدور جوهرى لتضفى طابعا واعيا ومدروسا للقرارات التى تريد عن طريقها تنفيذ سياسة ما وهذا هو الهدف الذى يجب أن ترمى اليه كل دراسة للاستراتيجية ، وهو الهدف الذى حاولت بلوغه وتحقيقه ·

وقد يدهش البعض من أن دراستى على خلاف المألوف التى تعالج هذا الموضوع لا تتضمن غير القليل جدا من المعلومات التاريخية · وكثيرا ما ستكتفى الاشارات الى أمثلة الماضى بكلمة واحدة : اسم جنرال أو حرب · ويرجع ذلك أولا : الى أننى أردت الاكتفاء بما هو جوهرى ، أى الآراء والافكار، وكذلك لاننى ـ ومن غير أن أذهب الى المدى الذى وصل اليه «فاليرى» ـ أعتقد أن المنهج التاريخى يمكن استغلاله لتبرير أية نتيجة تقريبا · وقد تفاديت كذلك ، مع تركيزى الشديد ، على أهمية العوامل النفسية ، الاشارة طويلا الى البيانات التى أصبحت الآن منذ «كلوزويتز» و «فوش» تقليدية والخاصة بالطابع العاطفى للحرب · ان ماكنت أهدف اليه هو عامل «الجبر» الكامن فى هذه الظاهرة العنيفة : ان الطابع غير العقلى الذى يلعب دورا هاما يجب أن ينظر اليه بدوره من زاوية عقلية ·

ان التعقيد الكبير للغاية لهذا الموضوع لم يسمح لى من غير شك بابراز المفاهيم التى لا غنى عنها فى تخطيط أى عمل منطقى فى صورته الاكثر وضوحا · وأود الا يرى القارىء فى ذلك غير مجرد عمل تمهيدى قمت به وقد راودنى أمل جامح بعض الشىء فى أن تؤدى دراستى الى القيام بدراسات أخرى قادرة على تحقيق شباب وبعث الاستراتيجية الازلية التى يحتاج اليها عصرنا كثيرا ·

الفصـــل الاول

نظـــرة عامة على الاســـــتراتيجية

كثيرون هؤلاء الذين يمارسون الاستراتيجية لا شـعوريا ، بدرجة أو بأخرى كما كان السيد «جوردان» يقول النثر دون أن يدرى · ولكن على خلاف السـيد جوردان فان عمل الاستراتيجية الجيدة أسهل من قول النثر ، خاصة وأنه وان كانت كلمة استراتيجية تستعمل كثيرا ، فان الحقائق التى تغطيها هذه الكلمة تعد عادة حقائق مجهولة ، ومما لاشك فيه أنها تعد احدى الكلمات الدارجة ذات المعنى الاقل وضوحا ·

وأسباب هذا الجهل عديدة : فهذه الكلمة القديمة كانت حتى وقت طويل تشير الى علم وفن القائد العام مما كان لا يعنى فى حقيقة الامر غير عدد محدود جدا من الناس · وكانت هذه المعرفة تنتقل بطريقة سرية الى حد ما الى كل جيل جديد عن طريق الامثلة التى كان يضربها القادة المشهورون ، وذلك بدرجة ما ، مثـل « المهارات اليدوية » « لأسطوات » مختلف المهن · ولما كانت الحرب تتطور ببطء فان الطريقة التى تعتمد الى حـد كبير على التجربة والملاحظـة كانت تثير فى مجموعها الارتياح على الرغم من أن الحرب كانت أعقد كثيرا من « فن البنـاء والزخرفة » على سبيل المثال ·

وقد ظهر ، على العكس ، فى فترات التطور أن تطبيق المهارات اليدوية التقليدية من الامور ذات الفعالية ، فقيادة العمليات قد أبرزت على السطح الغازا لا حل لها فى الظاهر وقد طرح هذا الافلاس مشـكلة استراتيجية فى ذلك الوقت على مجموع العناصر المختارة وليس فقط على الامير أو « الماريشال » ونجم عن كل فترة من هذه الفترات حركة فكرية خاصة بالاستراتيجية ، كان معنـاها العميق يتمشى مع عبقرية العصر · وأخذ عصر النهضة يبحث عن شخص فيجيس وفى المؤرخين القدامى عن أسرار الحرب الجديدة ، واستنبط القرن الثامن عشر من الفكر الخالص نظام التفكير الذى استخدمه نابليون بطريقة دائمة ، أما القرن التاسع عشر الذى كان لازال على دهشته أمام انتصارات نابليون فقد اعتقد أنه وجد فى نظام التفكير هذا حلا لمشكلاته ولكنه أقام خاصة مع كلوزويتز ، صرح نظرية كبيرة ، فلسفية اجتماعية تقع فى مكان وسط بين « كانط » وكارل ماركس والتى تعد تفسيراتها « الرومانتيكية » غريبة عن الشكل الجامح المتطرف لحروب القرن العشرين ·

ومع ذلك فقد أصيبت الاستراتيجية بكسوف خطير فى القرن العشرين ، قرن التحولات الكبرى ، وفى لحظة جوهرية من لحظات الزمن : فلقد اعتبر استمرار فترة ١٩١٤ـ١٩١٨ بمثابة « افلاس للاستراتيجية » على الرغم من أنها لا تمثـل غير افلاس استراتيجيـة بعينها وقد بدت الاستراتيجية فى فرنســا على وجـه

الخصوص ، (ولكن فرنسا كانت تمارس فى ذلك الوقت نفوذا ضخما) كعلم عفا عليه الزمن طريقة للتفكير فى الحرب لاتتمشى مع التطور الذى كان يعطى الافضلية لما هو مادى على المفاهيم ، وللعتاد على المناورة وللصناعة على الفلسفة · وقد أدى هذا الموقف الواقعى ظاهريا الى اعتبار الاستراتيجيين كأناس متخلفين أدعياء والى تكريس الجهود على « التكتيك » والعتاد فى الوقت المحدد الذى كانت سرعة التطور تتطلب منه نظرة عامة على درجة كبيرة من الارتفاع والتعمق لا يمكن أن تحققها غير الاستراتيجية وحدها ·

وكانت النتيجة هى هزيمة فرنسا العسكرية وكذلك انتصار ألمانيا غير الكامل واللذين يرجعان الى تقديرات خاطئة لانها ضيقة الأفق جدا · وخلف انهيار امبراطورية أوروبا العالمية الذى تبع ذلك عملاقين : الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى · وقد وضع تعارضهما ، الذى أصبح مرعبا بسبب السلاح النووى ، مشكلات الحرب والسلام فى المقام الاول ، وكان لايوجد أى مفهوم يبدو قادرا على حل هذه المشكلات · ويرجع البعض السبب فى ذلك الى جدة السلاح الذرى دون أن يأخذوا فى الاعتبار أن غياب نظرية عامة هو الذى يمنع التنبؤ بالتطور والسيطرة عليه · وفى الجانب السوفيتى حاول البعض فى بداية الامر التمسك بأهداب الماركسية وذلك بأن صاغوا فى عهد ستالين نظرية للحرب الكلية ذات أسس اجتماعية لم تستطع مقاومة ما أحرزته التكنية من تقدم · وحدث اندفاع لا حدود له فى الجانب الامريكى وتحت الشعار الاسمى « لكلوزويتز » لحل مجموعات من المشكلات الفنية التى لها أصل « تكتيكى » ولكن أهمية الموضوع استرعت انتباه الاوساط الفكرية التى ترسى ، وفقا للعبقرية العلمية المعاصرة ، دعائم البحث عن حلول على أساس « كنوز » من التحليل · وأصبح لكل جامعة أمريكية معهد للبحوث ذو امكانيات كبيرة وتراكمت أعداد غفيرة من المؤلفات مكونة بناء تجريديا على درجة من التعقيد تكاد تكون مدرسية ولكن تبلورت منها بالتدريج بعض العناصر الاساسية للاستراتيجية الكلية التى يحتاج اليها عصرنا · ومع ذلك فان حركة الافكار الكثيفة هذه لم تصل الا بالكاد لاوروبا حيث يقتصر فى العادة بعد عدة قراءات شاردة على استخدام المصطلحات والمادة الامريكية لان الاعتقاد لازال سائدا دون الجهر بذلك بأفضلية العتاد على الافكار ، فبالرغم مثلا من « ريمون آرون » فى فرنسا أو « ليدل هارت » فى انجلترا فان الاستراتيجية لم تصل الى الجمهور العريض ، ولا حتى فى الحقيقة الى الاوساط العسكرية حيث لازال التفكير مصبوغا بالصبغة « التكتيكية » و « التكتيكية » ومع ذلك فان أهمية الحقيقة الذرية والنتائج المؤسفة لحملات الهند الصينية ومصر والجزائر قد أبرزت بدرجة متفاوتة من الوضوح ، الحاجة لتفهم أكثر للظواهر الخاصة بالحرب · وقد أصبح من الطبيعى أن يلمع نجم الاستراتيجية من جديد بعد أن أدينت فى عام ١٩١٥ ·

تحايل الاستراتيجية :

تعريف الاستراتيجية :

ما هى الاستراتيجية ؟

اذا نحن وضعنا المفهوم القديم للاستراتيجية فى الحسبان قلنا ان الامر يعنى فن استخدام القوات العسكرية للوصول الى نتائج تحددها السياسة وهذا

التعريف الذى لايكاد يبتعد عن المصطلحات التى استخدمها « كوزويتز » هو ذلك الذى صاغه ليدل هارت فى عام ١٩٢٩ كما اقتبسه ريمون آرون ، حرفيا تقريبا فى مؤلفه الحديث ، وهذا تعريف ضيق فى رأيى لانه لا يعنى غير القوات العسكرية وأنا أصوغه على النحو التالى : الفن الذى يسهم « القوة » لبلوغ أهداف السياسة ، ويتضمن التعريف من ناحية أخرى ، مساوىء انتمائه لمجموع الفن العسكرى • ومن المعروف أنه من الامور التقليدية تقسيم هذا الفن الى استراتيجية « وتكتيك » • وقد اعترف مؤخرا بتقسيم آخر : فن الامدادات والتموين ••• فماهى ؟ ان التكتيك بوضوح تام هو فن استخدام الاسلحة فى المعركة للحصول على خير النتائج ، أما الامدادات والتموين فهى فن التحركات وعمليات التموين ويختص هذان الفنان « بتجميع الاشياء المادية » ولهما طابع علمى محدد يجعلهما أقرب الى فن المهندس •

واذا نحن أشرنا الى عبارة نابليون التى تكرر جملة « للويد » التى يفرق فيها بين « الجزء المقدس » و « تشابك الاشياء المادية » فان الاستراتيجية تكون عندئذ : الجزء المقدس ، وان اضفاء اشعاع العبقرية عليها نتيجة لذلك يصبح أمرا سهلا وكثيرا ما فعله البعض • ولكن العبقرية ـ غالبا ـ لاتكون غير صبر طويل وسواء أكانت العبقرية مقدسة أم لا فيجب أن تكون معقولة ومن نتاج التفكير • وهنا يحق التساؤل : ما هى الاستراتيجية اذا لم تقع عند مستوى الاشياء المادية أو عند مستوى السياسة ؟

اننى أعتقد أن جوهر الاستراتيجية يقبع فى العمل المجرد الذى ينجم ـ كما يقول «فوش» ـ من مواجهة عزيمتين • ان الفن هو الذى يسمح ، بعيدا عن أى «تكتيك» بالسيطرة ، على المشكلات التى تفرضها أية مواجهة أو (مبارزة) وهو الامر الذى يتيح استخدام مختلف أنواع « التكتيك » بأقصى درجة من الفعالية • انها ـ اذن ـ فن « وبالتكتيكية » القوى أو بتعبير أصدق فن « ديناميكية » الارادات التى تستخدم القوة لحل ما هى فيه من نزاع •

وقد يبدو ـ وبحق ـ أن هذا التعريف يعتبر مجردا الى درجة كبيرة، وكذلك عاما • لكن يجب وضع الاستراتيجية عند هذا المستوى اذا أردنا أن نفهم أسلوبها فى التفكير والقوانين التى يمكن اكتشافها فى هذا الاسلوب •

هدف الاستراتيجية :

وعلى أية حال ـ فاننا بمجرد أن تعرضنا لدراسة هدف الاستراتيجية ، سنرى بوضوح فائدة هذا التعريف •

يمكن أن يوافق المرء على أن هدف الاستراتيجية هو تحقيق الاهداف التى تحددها السياسة باستخدام الوسائل التى تمكنها على خير وجه • ويمكن أن تكون هذه الاهداف هجومية (غزو ـ فرض شروط مشددة) أو دفاعية (حماية أرض الوطن أو مصالح معينة) أو حتى ترقى ببساطة الى الحفاظ على الوضع السياسى الراهن• وهكذا نرى منذ الآن أن صيغا كتلك التى تنسب لكلوزويتز مثل تحديد المصير بوساطة المعركة الظافرة مثلا لايمكن أن تنطبق على جميع الاهداف • وعلى العكس فان القانون العام وحده هو الذى يحتويها كلها ، والقانون الذى يستبعد كل مفهوم خاص بالوسيلة التى بوساطتها يمكن الحصول على النتيجة (المرجوة) لاياخذ

فى عين الاعتبار غير جوهر هذه النتيجة المرجوة نفسه وهذه النتيجة هى قبول العدو للشروط التى نريد أن نفرضها عليه · والنتيجة فى «دياليكتيكية» الارادات هذه هى حدث له طابع سيكولوجى نرغب فى احداثه لدى العـدو : اقناعه بأن خوضه أو متابعته للنضال يعد أمرا لا جدوى منه ·

يمكن ـ بطبيعة الحال ـ بلوغ هذه النتيجة بوساطة الانتصار العسكرى ولكن هذا الاخير ليس دائما أمرا لابد منه ، بل هو غالبـا مايكون مستحيـل التحقيق (حالة الثوار فى الجزائر مثلا) فى حين هناك وسائل أخرى (لقد رأينـا ذلك فى الحالة السابقة) يمكن أن تكون فعالة · ونحن عندما نضع المشكلة فى مكانها الصحيح ، أى فى ميدان سيكلوجية العدو ، فانه يمكننا تقدير العوامل الحاسمة تقديرا صادقا ، وهكذا نجد أنفسنا فى الوقت نفسه داخل اطار نظام التفكير يشمل الانتصـار العسكرى واستراتيجيـة الردع النووى التى يقـال أنهـا استراتيجية جديدة ·

لقد أعطى لينين بتحليله لكلوزويتز تعريفا كثيرا ما أشير اليه ، يعترف بصراحة بالطابع السيكولوجى للنتيجة : « يجب تأخير العمليات حتى يجعل انهيـار العدو المعنوى الضربة القاضية ممكنة وسهلة فى الوقت نفسه » · ولكنه كان يفكر كثورى ولا يرى غير العمل السياسى وكأنه يقوم بنوع من القصف التمهيدى للمدفعية له طابع معنوى ، وكان ذلك يمثل عكس المفهوم الرومانتيكى والعسكرى لكلوزويتز ، ذلك المفهوم الذى يقضى بانهيار معنويات العدو نتيجة للنصر العسكرى · ولهـذا فان الصيغـة العـامة تبدو لى كما يلى : الوصـول الى النتيجـة وذلك بخلق واستغلال وضع يؤدى الى انهيار معنوى كاف للعدو يجعله يقبل الشروط التى يراد فرضها عليه ·

هذه هى الفكرة العامة « لدياليكتيكية » الارادات ·

وسائل الاستراتيجية :

ان دراسة وسائل الاستراتيجية تسمح بابراز شكل التفكير الخاص بهذه الاخيرة بطريقة أفضل ·

يمكن أن تستغل الاستراتيجية ، للوصول الى النتيجة (المرجوة) ، مجموعة كبيرة من الوسائل المادية والمعنوية التى تبدأ بالقصف النووى وتنتهى بالدعاية أو المعاهدة التجارية · وسيتلخص دور الفن فى اختيار الوسائل المتاحة وتجميع عملها حتى تساهم جميعها فى الوصول الى نتيجة سيكولوجية واحدة على قدر من الفعالية يسمح بحدوث الاثر المعنوى الحاسم ·

وسيتوقف اختيار الوسائل على المواجهة بين نقاط ضعف العدو وامكانياتنـا وللوصول الى ذلك يجب تحليل الاثر المعنوى الحاسم · من الذى يراد اقناعه ؟ انها حكومة العدو التى يراد اقناعها فى نهاية المطاف ولكن تبعا للظروف يكون من الاسهل الضغط مباشرة على القادة (شيمبرلين فى بادجود سبرج أو ميونيخ) وذلك باختبار تلك الحجج التى يمكن أن يتأثروا بها ، أو على العكس ، الضغط بطريق غير مباشر على هذا القطاع أو ذلك من الرأى العام الذى له تأثيره على الحكومة ، أو على حكومة حليفة تتمتع بنفوذ كبير ، أو على الامم المتحدة مثلا · واذا كان المطلوب تحقيقه له أهمية أكبر فيمكن أن تصبح عمليات القوة ضرورية ،

ولكن هنا كذلك يجب أن يتمشى اختيار الوسائل تماما مع الامكانيات « الصديقة » ونقاط ضعف العدو ، لأن النصر العسكرى التقليدى يمكن أن يكون بعيد المنال مثلا أو باهظ التكاليف · فى هذه الحالة هل يتم اختيار وسيلة التمرد الثورى الذى يهدف الى حدوث التدخل الدولى (كما حدث بالنسبة للسوديت قبل ميونيخ) أم تمرد ثورى يمكن أن يغير الحكومة (مثل ماحدث فى براج عام ١٩٥٠) أم ضغط اقتصادى كبير (مثل العقوبات التى اتخذت ضد ايطاليا فى عام ١٩٣٥) أو شن حملة حرب عصابات طويلة يصاحبها عمل دولى (مثل الفيتمين و «الفلاجا» (ثوار الجزائر)) ؟ ما هى الاعمال الممكنة الاكثر قدرة على التأثير بطريقة حاسمة على سيكولوجية القادة الاعداء ؟ واذا تقرر أخيرا ، شن عملية عسكرية ، فماذا سيكون هدفها ؟ هل يجب «تدمير» قوات العدو المسلحة حسب صيغة كلوزويتز؟ وهل سيكون ذلك ممكنا ؟ واذا لم يكن ذلك ممكنا فهل يكفى تحقيق نجاح اقليمى محدود (حملة القرم فى عام ١٨٥٤) وما طبيعة هذا النجاح ؟ وما هى مجموعة القوات المسلحة أو ما هو الاقليم الجغرافى الذى يعد حاسما من وجهة نظر العدو (البحرية والطيران فى انجلترا الجيش البرى فى فرنسا ···· الخ) وهل من الضرورى أو من غير الضرورى أو المجدى الاستيلاء على العاصمة ؟ وهل يكفى التهديد بتدميرها ؟··· الخ ·· يمكن هكذا التعمق فى التحليل أكثر فأكثر حتى الوصول الى الوسائل المتاحة لنا والقادرة على تحقيق النتيجة المرجوة ·

تصميم الخطة الاستراتيجية :

وعندئذ يمكن البدء فى تصميم الخطة الاستراتيجية · والامر هنا يعنى الديناميكتيك ولهذا فانه يجب التكهن بردود فعل العدو الممكنة بالنسبة لكل عملية من العمليات المقررة مع الاحتفاظ بامكانية التغلب على كل من ردود الفعل هذه · ويمكن أن تكون هذه الاخيرة دولية أو وطنية ، معنوية ، سياسية ، اقتصادية أو عسكرية · ويجب أن تدخل العمليات المتتابعة والامكانيات الاستعراضية فى اطار نظام يهدف الى الحفاظ على سلطة تنفيذ الخطة على الرغم من مقاومة العدو · واذا كانت الخطة محكمة فلا يجب أن تكون هناك أية مخاطر · ويجب أن تكون المناورة الاستراتيجية التى تهدف الى الحفاظ على حرية العمل « ليست وليدة الصدفة » · ويجب أن تأخذ فى حسبانها بطبيعة الحال سلسلة الاحداث جميعها التى توصل حتى النتيجة · ويجب أن نقول عرضا هنا أن هذا الامر لم يتحقق من جانبنا لا فى عام ١٨٧٠ ولا فى عام ١٩٣٩ ، ولا فى الهند الصينية ولا فى الجزائر ـ كما يجب أن نضيف أن الاطار الدياليكتيكى العام للعدوين يزداد تعقيدا بسبب الظروف الدولية · فيمكن أن يصبح وزن الحلفاء ، وحتى المحايدون ، حاسما (كما حدث فى السويس) · ولقد خسرت ألمانيا لعدم ادراكها ذلك جيدا ، حربين وذلك باكتسابها عداء بريطانيا العظمى (غزو بلجيكا) والولايات المتحدة الامريكية (حرب الغواصات) · وهكذا فان التقدير الصحيح لحرية العمل الناجمة عن الظروف الدولية تعد عاملا رئيسيا للاستراتيجية ، خاصة منذ أن دعمت القوة الذرية بدرجة كبيرة جدا علاقات الدول بعضها ببعض ·

نماذج استراتيجية :

وهكذا فان الخطة الاستراتيجية ستصمم تبعا للامكانيات النسبية للخصمين وتبعا لأهمية هدف الصراع نفسه حسب نماذج عديدة سندرس هنا أكثرها تميزا ·

(١) اذا كانت لدينا امكانيات قوية جدا (أو اذا كان العمل المزمع القيام به يتيح استخدام الامكانيات القوية للامم الحليفة) واذا كان الهدف متواضعا ، فان مجرد التهديد بهذه الامكانيات يمكنه أن يدفع العدو الى قبول الشروط التى نريد أن نفرضها عليه وجعله ، وهو أمر أكثر سهولة ، يتخلى عن مزاعمه فى تغيير الوضع الراهن القائم ويلاقى نموذج التهديد المباشر هذا فى الوقت الحالى رواجا كبيرا بفضل وجود السلاح الذرى الذى يستخدم أساسا للبناء الضخم الذى تمثله استراتيجية الردع ٠

(٢) وعلى العكس اذا كان الهدف لا زال متوضعا وكنا نملك امكانيات كافية لتجسيد تهديد حاسم ، فاننا سنعمل على الوصول الى النتيجة (المرجوة) بعمليات سياسية أو ديبلوماسية ، أو اقتصادية ماكرة بدرجة أو بأخرى ٠ وقد استخدم خبراء الاستراتيجية الهتلريون والسوفيت هذا النموذج للضغط غير المباشر على نطاق واسع لا لضعف ما يملكونه من وسائل الانتقام بل بسبب الردع الذىكانوا يتعرضون له نتيجة لتهديد القوى المعادية المباشرة ٠ وتصلح هذه الاستراتيجية فى حالة مايكون هامش حرية استخدام القوة ، محدودا ٠

(٣) اذا كان هامش حرية العمل ضيقا ، والوسائل محدودة وهدف (العملية) هاما فسنعمل على الوصول الى النتيجة (المرجوة) بوساطة سلسلة من العمليات المتتابعة تضم عند الضرورة التهديد المباشر ، والضغط غير المباشر مع عمليات قوة (عسكرية) محدودة ، وقد استخدم هتلر هذا النموذج للعمليات المتتابعة فى الفترة مابين عام ١٩٣٥ ، وعام ١٩٣٩ ولكنه لم ينجح الا طالما بدا الهدف ذا أهمية دنيا ٠ وعلى العكس عندما يظهر أن عمليات « تآكل » (الاراضى) تخدم أهدافا حيوية فان هذا النموذج يؤدى بالضرورة الى النزاع الكبير ٠ وقد استخدمت بريطانيا العظمى ـ بعد ادخال تعديلات ـ خواص مميزة ترجع الى موقعها كجزيرة، هذه الاستراتيجية ذات المدخل غير المباشر والتى أعاد ليدل هارت صياغتها فى ايامنا هذه بطريقة محددة ٠ وتصلح هذه الاستراتيجية بوجه خاص فى حالة الدول التى تتمتع بنظام دفاعى قوى (أوالتى تحميها الطبيعة بصورة جيدة) والتى ترغب فى الوصول ، تدريجيا الى نتائج كبرى مع عدم استخدام ، هجوميا الا امكانيات محدودة ، وقد صبغت الحروب الاوروبية فى القرن الثامن عشر فى غالبية الاحوال بطابع المدخل غير المباشر ذى العمليات المتتابعة لان الامكانيات المستخدمة كانت محدودة نسبيا ٠

(٤) اذا كان هامش حرية العمل كبيرا واذا كانت الامكانيات المتاحة ضعيفة جدا لتحقيق نصر عسكرى فيمكن الالتجاء الى استراتيجية نزاع طويل الأجل تهدف الى تحقيق الانهاك المعنوى وارهاق العدو ٠ ولكى يمكن أن تستمر هذه الاستراتيجية فيجب أن تكون الامكانيات المستخدمة بسيطة وقديمة الى درجة كبيرة ولكن طريقة الاستخدام (عادة حربا شاملة ترتكز على حرب عصابات ذات انتشار واسع) من شأنها أن تجبر العدو على بذل مجهود أكبر كثيرا مما يمكن أن يحتمله لفترة غير محدودة ٠ وقد استخدم هذا النموذج ، نموذج القتال الشامل الطويل الأجل وذو الحدة العسكرية الضعيفة ، على نطاق واسع وبنجاح فى حروب مكافحة الاستعمار ٠ والمسئول الرئيسى عن نظرية هذه الاستراتيجية هو ماوتسى تونج ٠ ويجب أن نلاحظ أن هذه الاستراتيجية التى تتطلب جهودا معنوية ضخمة من جانب الطرف الذى يطبقها تفترض وجود طاقة عاطفية كبيرة وتماسك كبير جدا

للروح الوطنية · ولهذا فهى تصلح ، أكثر ماتصلح لحروب التحرير · ولكن لن يكون لها حظ فى النجاح الا اذا كان هدف (النزاع) غير متكافىء تماما بالنسبة للطرفين (حالة الحروب ضد الاستعمار) أو اذا حصلت على تدخلات عسكرية (حالة حروب التحرير فى أوروبا عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٥ ، واسبانيا فى عام ١٨١٣ـ ١٨١٤) تقوم بدور العامل المساعد ·

(٥) اذا كانت الامكانيات العسكرية التى نملكها قوية بدرجة كافية فيمكن العمل للوصول الى النتيجة (المرجوة) بوساطة انتصار عسكرى فى اطار حرب عنفة وقصيرة اذا أمكن ذلك · وقد يكفى تدمير قوات العدو فى المعركة وخاصة اذا كان هدف النزاع ليس حيويا جدا بالنسبة للخصم ، والا وجب احتلال أراضيه أو جزء منها وهو الامر الذى يجسد الهزيمة فى نظر الرأى العام ليجعله يقبل الشروط المفروضة · وبطبيعة الحال يمكن تسهيل عملية الاستسلام المعنوى للمهزوم بدرجة كبيرة اذا كان هناك طابور خامس متعاطف ، كما حدث فى حالة انتصارات الثورة الفرنسية ونابليون · بل يمكن أن يقوم هذا الطابور الخامس بدور هام فى مساعدة العمليات العسكرية · ويتبع هذا النموذج للحرب العنيفة التى تهدف الى تحقيق النصر العسكرى الاستراتيجية الكلاسيكية من نوع استراتيجية نابليون · ومؤسس نظرية هذه الاستراتيجية الرئيسى ـ الذى غالبا ماتعرض للخيانة من جانب أقرانه المتشبعين بدرجة كبيرة بالرومانتيكية « الواجنرية » هو «كلوزويتز»· وسادت هذه النظرية الاستراتيجية الاوروبية فى القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين · وقد اعتبرت ، بغير وجه حق ، الاستراتيجية الاوروثوذكسية الوحيدة ونجم عنها الحربان العالميتان : ١٩١٤ـ١٩١٨ و ١٩٣٩ـ١٩٤٥ ، اللتان أبرزتا بوضوح حدود مفهوم كلوزويتز ـ نابليون القائل بأن النتيجة (المرجوة) لايمكن تحقيقها بوساطة العملية الجراحية التى يمثلها الانتصار العسكرى الا اذا كانت الامكانيات العسكرية ـ وقتئذ ـ تسمح بتحقيق نصر عسكرى كامل بسرعة· ولكن هذا الشرط ـ كما سنرى فيما بعد عند دراسة الاستراتيجية العملية ـ لايتوفر الا فى بعض فترات تطور التكتيك والعمليات · وفيما بين الفترات المواتية فان استراتيجية كلوزويتز لا تؤدى الا الى مواجهة عدوين فى نزاعات عسكرية هائلة ينتهى بها الامر الى حالة التوازن (التوازن الذى حدث فى نهاية عام ١٩١٤ ـ الانتصار الالمانى القارى عام ١٩٤٠ الذى لم يتعد المانش والذى انغمس فى حملة مستحيلة فى بروسا) · ولا تتحقق النتيجة عندئذ الا بعد فترة انهاك طويلة متبادلة لا تتناسب مع الهدف (المرجو تحقيقه) يخرج فى أعقابها الغالب والمغلوب وقد أنهكت قواه تماما فى النزاع · ومن المفيد أن نلاحظ هنا أن هذا المخطط قد طبق على نابليون بسبب عجزه عن حل المشكلات الانجليزية والروسية ، ولكن كلوزويتز وتلاميذه بهرتهم انتصارات الامبراطور الى درجة جعلتهم يجهلون جميع الحدود · وربما يكون هذا الخطأ الفكرى هو الذى جعل أوروبا تفقد تفوقها فى العالم ·

نتائج :

تمثل النماذج الخمسة التى أشرنا اليها أمثلة أكثر مما تمثل تصنيفا شاملا لمختلف أنواع الاستراتيجية ·

وترجع أهميتها على وجه الخصوص الى ابراز تعدد الحلول التى يجب أن

تعرف الاستراتيجية كيف تختار من بينها وكذلك لتفهم ، طابع وجدة التفكير الاستراتيجى ، بطريقة أفضل · وفى الوقت الذى نجد فيه التفكير التكتيكى أو التفكير الخاص بعمليات الامداد والتموين يعتمد اعتمادا كليا تقريبا على منهج يهدف الى تطبيق الامكانيات العسكرية بطريقة منطقية للوصول الى نتيجة ما ، وفى الوقت الذى نجد فيه التفكير السياسى الذى يجب أن يقدر مايرغب فى تحقيقه الرأى العام أو ما يقبله هذا الرأى العام ، يفسح مجالا كبيرا للسيكولوجية والتخمين ··· فان التفكير الاستراتيجى يجب أن يجمع ما بين المعطيات المادية بعملية فكرية مجردة وعقلية ، وتتطلب هذه العملية الاخيرة قدرة كبيرة على التحليل والتركيب ، فالتحليل ضرورى لتجميع عناصر التشخيص أما التركيب فلابد منه استخلاص التشخيص (على ضوء هذه العناصر) والذى هو اختيار بالضرورة ·

وتسمح هذه النماذج الخمسة كذلك بابراز الخطأ الذى ارتكبه العديد من خبراء الاستراتيجية بتوصيتهم بنوع من أنواع الاستراتيجية · فكل نموذج يتمشى فى الحقيقة مع نظرية خاصة يقدمها صاحبها على أنها الحل الوحيد أو أحسن الحلول فى حين أن كلا منها ليس أفضل من غيرها الا داخل اطار شروط محددة تماما · وكثيرا ماتمت الاختبارات لعدم وجود تحليل كاف لعوامل الاستراتيجية ، نتيجة للعادة أو « للموضة » السائدة ، وهكذا انسلخت النزاعات من سيطرة الحكومات ونجمت عنها كوارث دولية مروعة · وقد أصبح من الحيوى الآن أكثر من أى وقت مضى حيث يجتاز العالم أزمة تكيف لم يسبق لها مثيل بينما تتفشى القوى العلمية والصناعية والسيكولوجية فى الفنون العسكرية ـ أصبح من الحيوى امتلاك منهج للتفكير يسمح لنا بتوجيه الاحداث بدل الخضوع لها · ومن هنا تنبع أهمية الاستراتيجية وأولويتها الزمنية الخاصة ·

التقسيمات الفرعية للاستراتيجية :

اذا كانت الاستراتيجية واحدة بموضوعها ومنهجها فانها فى ميدان التطبيق تنقسم بالضرورة الى استراتيجيات متخصصة تصلح فقط لميدان معين من ميادين النزاع فعليها فى الحقيقة أن تضع فى الاعتبار المعطيات المادية ومعروف أنمميزات المعطيات المادية هذه الخاصة بكل ميدان من ميادين النزاع تنتج مجموعة من النتائج مختلفة فى كل ميدان من الميادين · لقد كانت الاستراتيجية البحرية مثلا مختلفة دائما عن الاستراتيجية البرية ··· الخ ·

وهكذا نجد أنفسنا أمام هرم حقيقى من الاستراتيجيات المتميزة والمتداخلة التى لابد من تحديدها بدقة لكى يمكن الجمع فيما بينها على أحسن وجه داخل اطار من العمليات يهدف الى تحقيق الهدف العام نفسه ·

تسود « الاستراتيجية الشاملة » المكلفة بتخطيط سير الحرب الشاملة(١) ، قمة الاستراتيجيات التى تخضع للحكومة مباشرة أى للسياسة · ودور هذه

---

(١) تبدو صيغة الاستراتيجية الشاملة مرتبطة بصيغة « الحرب الشاملة » اكثر من الصيغة التى يستعملها أحيانا الانجليز (ليدل هارت) بوجه الخصوص ، وهى « الاستراتيجية الكبرى » أو الامريكيين وهى « الاستراتيجية الوطنية » أما صيغة « الدفاع الوطنى » فلا تعكس شيئا وهى تعمل بوجه الخصوص على نشر الغموض ·

الاستراتيجية هو تحديد المهمة الخاصة وتجميع مختلف الاستراتيجيات العامة السياسية والاقتصادية والديبلوماسية والعسكرية ٠

وهذه الاستراتيجية هى أساسا استراتيجية رؤساء الحكومات يساعدهم رؤساء هيئات أركان حربهم بوزارة الدفاع الوطنى ومستشاروهم أو لجان الدفاع ٠ وكما رأينا فى النماذج السابقة والتى تقع جميعها عند مستوى الاستراتيجية الشاملة فان الاهمية النسبية لمختلف الميادين السياسية والاقتصادية والديبلوماسية أو العسكرية تختلف كثيرا باختلاف الحلول ولا يكون الميدان العسكرى متفوقا الا فى أحد هذه النماذج ، وهو النموذج الخامس ٠

وهناك فى كل ميدان من الميادين الخاضعة ، استراتيجية عامة (عسكرية ، سياسية ، اقتصادية أو ديبلوماسية) وظيفتها توزيع وتجميع مهام العمليات الممارسة فى مختلف فروع نشاط الميدان موضوع البحث ٠ ويجب أن نقول ـ فى الحال ـ انه اذا كانت هناك بالفعل استراتيجية عامة عسكرية ، تعمل على تجميع العمليات البرية والجوية والبحرية ، على وجه أكمل فانه لايوجد هناك مفهوم للاستراجية العامة ينطبق على الميدان السياسى (خط سياسى مثلا ، عمل داخلى ، عمل خارجى ، دعاية) أو على الميدان الاقتصادى (انتاج مالية تجارة خارجية مثلا) أو على الميدان الديبلوماسى ٠ ومع هذا فان الاستراتيجية تمارس يوميا فى هذه الميادين بدون معرفة ولكن لعدم ممارستها عن قصد فان المرء لا يستخلص من ورائها كل مايمكن استخلاصه من وراء عمل مبنى على مفاهيم أكثر تحديدا وناجم عن لون من التفكير الاكثر نضوجا ٠ وجميع هذه الاستراتيجيات العامة هى تلك التى يمارسها أو التى يجب أن يمارسها الوزراء الذين يهمهم الامر ، يساندهم رؤساء هيئات أركان الحرب أو سكرتيرهم العام ٠

ويوجد فى كل نوع من فروع النشاط غير الرئيسى مكان لنوع مميز من الاستراتيجية وتقع عند هذا المستوى نقطة الوصل بين المفهوم والتطبيق ٠٠ بين ماتريد أو ما يجب أن نفعله وبين ماتجعله الشروط الفنية ممكنا ٠ وقد أطلق الالمان على هذا التشابك أو الالتحام الجوهرى فى الميدان العسكرى البرى اسم استراتيجية العمليات (العسكرية) ٠ وتوجد هنا كذلك شعوريا أو لا شعوريا ، استراتيجية العمليات (العسكرية) فى كل فرع من الفروع هدفها ليس فقط التوفيق بين الاهداف المختارة بوساطة الاستراتيجية الهامة مع الامكانيات التى تحددها « التكتيكات » أو « تكتيك » الفرع موضوع البحث ، بل كذلك توجبه تطور « التكتيكات » و « التكتيك » لتكييفها مع متطلبات الاستراتيجية ٠ ونتيجة لذلك فان استراتيجية العمليات (العسكرية) تقوم بدور جوهرى كثيرا ما أغمط حقه فبالنسبة للاستراتيجية البرية الكلاسيكية ، على سبيل المثال ، تتدخل عوامل الامدادات والتموين والتكتيكات (حجم القوات بالنسبة للمكان ـ التحرك الاستراتيجى والتكتيكى الطاقة الهجومية والدفاعية) التى تحدد قيمتها النسبية شكل العمليات (حرب الحركة أو حرب المواقع ، نتيجة عسكرية سريعة أو حرب الانهاك٠٠٠ الخ) والتى نتيجة لذلك تتحكم فى جميع الامكانيات العسكرية للاستراتيجية ٠٠٠ عند مستوى استراتيجية العمليات (العسكرية) ٠ ولعدم الاعتراف بأهمية وطريقة عمل هذه الاستراتيجية حدث ثبات أوضاع الحرب فى عام ١٩١٤ وهزيمة عام ١٩٤٠ ، بطريق المفاجأة فى الوقت الذى كان من الممكن فيه التكهن بهما وتفاديهما ٠ وكذلك

يجب وضع استراتيجية وقت السلام التى تقضى بتحقيق تسليح جديد يفوق تسليح الاعداء المحتملين ، عند مستوى استراتيجية العمليات · وهذه الاستراتيجية التى اكتسبت بوجود السلاح الذرى أهمية قد تكون حاسمة ، أطلق عليها اسم «استراتيجية الامدادات والتموين» وكذلك « استراتيجية الوراثة » · ولا يمكن تسيير هذه الاستراتيجية بفعالية وبالتالى الابقاء على الردع بأقل ثمن الا اذا اعتبرناها بمثابة استراتيجية حقيقية (وليس مجرد مجموعة من البرامج المالية وبرامج الميزانية) ووضعناها فى مكانها فى هرم الاستراتيجيات ·

ان هذا التحليل لمختلف الاستراتيجيات ليس من شأنه ، بالتأكيد ، أن يبسط المشكلة ، كما أنه يبرز كل تعقيد الموضوع الذى نحن بصدده · وعلى العكس يمكننا أن نقر بأن التجديد الضرورى للاستراتيجية ، يؤدى الى نتائج عملية تجعل عند اكتشافها العلاقات القائمة بين مختلف العوامل التى تعد السيطرة عليها أمرا لابد منه لتوجيه الحرب كما للحفاظ على السلام ، أكثر وضوحا ·

مبادىء الاستراتيجية :

هل تتضمن الاستراتيجة قواعد تسمح بتوجيه التفكير فى ميدان اختيار الحلول ؟ لقد استخلصت الاستراتيجية العسكرية التقليدية مثل هذه القواعد بل وادعت أنها تمثل قوانين قيمية دائمة وعامة تعطى للاستراتيجية استقرارا يتناقض مع التغيير الدائم للطرق التكتيكية فى علاقته مع تطور المعدات · ونحن نملك اليوم أسبابا وجيهة تجعلنا نشك فى استقرار الاستراتيجية ، ولكن اذا كانت هناك قواعد فانها تمثل العامل الثابت فى التفكير الاستراتيجى والتى تتطور تطبيقاتها وحدها ·

من الصعب جدا معالجة هذا الموضوع الهام فى صفحات معدودة ولكن ، مع ذلك يمكن أن نحاول القيام بدراسة سريعة للآراء فى هذا الموضوع · وسوف نرى أن النتائج التى يمكن استخلاصها من هذه الدراسة ، هى نتائج محدودة ·

النظريات :

تتميز القواعد التى صاغها المؤلفون الرئيسيون ، بتنوعها · وتعتبر التلخيصات الآتية ذات طابع كاريكاتورى مبسط ولكنها تساعد على تحديد أنواع القوانين المقترحة · توجد بالنسبة « لكلوزويتز » ثلاث قواعد رئيسية : حشد الجهود ، عمل الند للند وبلوغ النتيجة (المرجوة) بوساطة المعركة على مسرح العمليات الرئيسى بقدر الامكان ، فى شكل دفاعى ـ هجومى · وتدخل هذه القواعد فى ميدان الاستراتيجية العامة واستراتيجية العمليات العسكرية وتنطبق على النموذج رقم (٥) الذى حددناه آنفا · وعلى العكس يقترح ليدل هارت ست قواعد ايجابية وقاعدتين سلبيتين يتلخص جوهرها فى أربع قواعد : تشتيت العدو بوساطة المدخل غير المباشر ـ المفاجأة باختيار العمليات غير المتوقعة ـ مواجهة القوى للضعيف ـ الوصول الى النتيجة عند الضرورة بوساطة مسارح العمليات الثانوية · وتنتمى هذه القواعد الى المستويات الاستراتيجية التى تنتمى اليها قواعد «كلوزويتز» ولكنها تنطبق ، فى مجموعها ، على نموذج الاستراتيجية رقم (٣) الذى حدد فيما سبق· ويحدد ماوتسى تونج ست قواعد هى : الانسحاب أمام تقدم العدو بوساطة عمليات الانسحاب «تقرب من المركز» ـ تقدم أمام انسحاب العدو ـ استراتيجة واحد ضد

خمسة ـ « تكتيك » خمسة ضد واحد ـ الحصول على التموين من العدو ـ تماسك تام بين الجيش والسكان · والامر هنا أيضا يعنى الاستراتيجية العامة واستراتيجية العمليات العسكرية ، ولكن فى هذه المرة خاصة باستراتيجية النموذج رقم (٤) · ويحدد لينين وستالين ثلاث قواعد رئيسية : الصلابة المعنوية للبلاد وللجيش فى الحرب الشاملة الاهمية الحاسمة للمؤخرة ـ ضرورة التمهيد السيكولوجى للعملية العسكرية · ونجد أنفسنا هنا فى ميدان الاستراتيجية الشاملة عند مستوى يمكن أن يطبق على العديد من نماذج الاستراتيجية · وتوصلت المدرسة الاستراتيجية الامريكية المعاصرة ، حاليا ، الى قاعدتين : ردع متبرج ورد مختلف الحدة · ونحن هنا كذلك بصدد الاستراتيجية الشاملة التى تنطبق هذه المرة ، بواعز الردع والحد من النزاعات ، على استراتيجية النموذج رقم (١) · وكان «ماهان» قد حدد قديما قاعدته المشهورة الخاصة بالاهمية الحاسمة للتفوق بوساطة الحيز البحرى أما « ماكيندر » فقد أكد ، على العكس ، تفوق الحيز القارى · وفى الثلاثينيات تنبأ « دوهيه » من جانبه بالطابع الحاسم للقوة الجوية · وأخيرا ركزت المدرسة الاستراتيجية الفرنسية التقليدية التى يمثلها «فوش» الاستراتيجية فى قاعدتين ذات طابع مجرد واضح ، وهما : الاقتصاد فى القوات وحرية العمل، وهما بطابعهما المجرد هذا يمكن أن ينطبقا على جميع الاستراتيجيات ·

المفهوم الرئيسى :

ان القواعد المقترحة كما نرى تشكل الفكرة العامة لحلول خاصة ، أكثر مما تشكل قوانين عامة ، الأمر الذى يفسر اختلافاتها · وقواعد «فوش» وحدها هى التى تعتبر قواعد فى ذاتها ولكن طابعها المجرد لا يسمح بأن تستخلص منها نتائج عملية ، على الاقل فى بداية الامر · ولكننا سنرى ، على الرغم من ذلك ، أنها تشكل اطارا مماثلا الى حد كبير لتحليل المشكلات ·

ولكن يجب ، قبل ذلك ، توضيح المفاهيم التى تمثلها هذه القواعد · ومن المفيد، من أجل ذلك ، العودة الى تعريفنا للاستراتيجية : « فن ديالكتيكية الارادات التى تستخدم القوة لحل نزاعاتها » · وتنجم عن مبارزة الارادات هذه مواجهة بين قوتين متوازيتين تحاول كل منهما الوصول الى النقطة الحاسمة فى الاخرى عن طريق استعدادات تمهيدية تهدف الى التخويف والشلل والمفاجأة ، وجميع هذه العمليات كما نرى ذات طابع سيكولوجى · وهكذا يمكن تمييز عاملين مختلفين ورئيسيين فى كل استراتيجية :

(١) اختيار النقطة الحاسمة التى يراد الوصول اليها أو اصابتها (وذلك تبعا لنقاط ضعف الطرف الآخر) ·

(٢) اختيار المناورة التمهيدية التى تسمح بالوصول واصابة النقطة الحاسمة ولكن لما كان كل من العدوين يفعل الشىء نفسه فان المعارضة بين المناورتين التمهيديتين ستعطى النصر لاحد العدوين الذى يكون قد نجح فى شل المناورة المضادة وقاد مناورته هو حتى هدفها المرسوم · وهذا هو ما يسميه «فوش» بلغة الاستراتيجية التقليدية « الحفاظ على حرية العمل » وهكذا فان نضال الارادات ينتهى الى نضال من أجل حرية العمل التى يحاول كل طرف الاحتفاظ بها وحرمان العدو منها ·

واذا كنا أقوى بكثير من العدو فسيكون من السهل الاحتفاظ بحرية العمل وذلك باستخدام كل مايلزم من قوى لشل مناورة العدو مع الاحتفاظ بقدر كاف من الامكانيات المتاحة للقيام بالضربة القاضية · ولكن هذه الحالة القصوى نادرة للغاية · وفى العادة يجب معرفة كيف يوزع المرء امكانياته بطريقة عقلية منطقية بين ميدان الحماية من المناورة التمهيدية المضادة ، ومناورته ـ هو ـ التمهيدية والعمل النهائى · وهذا التوزيع الامثل هو ما تسميه الاستراتيجية التقديرية « باقتصاد قومى » ·

وهكذا فان تحليل النموذج المحتقر للنضال بعبارات مجردة يؤدى بنا الى الصيغة التالية : الوصول الى النقطة الحاسمة بفضل حرية العمل التى أمكن الحصول عليها بوساطة اقتصاد جيد للقوى · ولكن يجب الآن اعادة « تفكيك » هذا التحليل المركز حتى يمكن استخدامه مع البحث عن الوسائل الكفيلة بتحقيق اقتصاد القوى وحرية العمل ·

ونصل هنا الى عتبة دراسة نادرا ما عولجت بشكل منهجى دقيق ، الامر الذى ساعد على اضفاء لون من ألوان الغموض والسرية على هذه المسائل · والامر يعنى هنا تحليل مختلف الامكانيات المتاحة أمام القرار الاستراتيجى ·

عناصر القرار الاستراتيجى :

فلنقل أن كل حل استراتيجى يرتبط بثلاثة «محاور متوازية» هى : الزمان ، والمكان وحجم القوى المادية والمعنوية التى تحدد وضعا تلقائيا ، وأخيرا ، بعامل معقد سنسميه مناورة ، الذى يحدد عملية التتابع والعلاقة بين الاوضاع المتتالية·

(١) عامل المناورة : ينجم هذا العامل الاخير الذى يتحكم ، الى حد ما فى غيره من العوامل ، من « ديناميكية » النضال ومن المبارزة المجردة للمقاتلين · والمقارنة بلعبة المبارزة (الشيش) تسمح لنا بالتعرف سريعا على عدد من أنواع الافعال وردود الافعال :

فمن وجهة النظر الهجومية يمكن أن تمهد لعملية الهجوم أو يمكن أن تتبعها « التهديد » ، « المباغتة » ، « التظاهر » ، « الخداع » ، « القهر » ، «الانهاك» « المتابعة » أى ثمانية أنواع من العمليات ·

أما دفاعنا فهناك عمليات : « التفادى » ، « الافلات » ، « الرد » (على الهجوم) ، « التخلص » ، « التحاشى » ، « التملص » أى ست عمليات ·

وهناك كذلك بالنسبة للقوات التفكير فى خمسة أنواع من القرارات : «التجميع» ، « التشتيت » ، « الاقتصاد » ، « الزيادة » ، « النقصان » ·

تمثل هذه الاختيارات التسعة عشر والتى يصحبها اختيار للزمان والمكان مجموعة العملية الاستراتيجية ·

يعطى الجدول رقم (١) المرفق تعريفا عاما لكل نوع من أنواع هذه الاعمال ، محددا الشروط التى يتطلبها العمل وملخصا النتائج التى يمكن أن تنجم عنها · وسوف نرى أن كل شىء يرجع الى حرية العمل سواء للحصول عليها أم لاعادة الحصول عليها ، أو لحرمان العدو منها · وسنرى كذلك أن وسيلة الحصول على حرية العمل هى القدرة على اتخاذ المبادأة وهو عامل جوهرى للمناورة ·

جـــدول رقم (١)

تعريف ابتداء من المبارزة بالسيف (الشيش)

العمـــل	تعـــريف	الشروط التى يتطلبها وملاحظـات	النتائج المنتظرة منه
الهجـوم	البحث للوصـول الى نقطـة ضعف عند العدو	يجب أن تكون نقطـة الضعف حاسمة جزئيا أو كليا وأن تكون الامكانيات كافيـة ·	تحقيق النتجية أو أخـذ المبـادأة للوصـول الى حرية العمـل
المباغتـة	مهاجمـة نقطـة ضعف لا تتمتـع بالحماية	يجب أن تكون نقطـة الضعف محـرومة من الحمـاية وأن تكون حساسة بدرجة كبيرة ·	القضـاء على ترتيبات العـدو ومعنـوياته وأخـذ المبـادأة للوصـول الى حرية العمـل
التظـاهر	تهديد نقطة ضعف مختـارة بطريقـة تجعـل العـدو يكتشف المعنى تلك التى يرادمهاجمتها	يجب أن تكون نقطـة الضعف المختارة لاتتمتع بحماية كافيـة وحساسه جدا بالنسبة للعدو ·	اجبـار العـدو على اكتشـاف نقطة الضعف المهددة · أخذ المبـادأة للوصول الى حرية العمل
الخـداع	**المعنى الضـيق :** التظاهر بتهـديد نقطة ضعف معينة ومهاجمـة نقطـة ضعف أخرى	الوضـع هنا كمـا فى الخانة السابقـة ، ولكن التهـديد لا يهـدف الى تجميع القوات بل للابقاء على عنصر الشك ·	التمهيد لأخـذ المبـادأة للوصول الى حرية العمل
	المعنى العـام : الظهـور بموقف يختلف عن الموقف الحقيقى المتبنى	الشك يمكن أن يصل الى حد ايجـاد شعور كاذب بالطمأنينة والأمن ·	للوصول الى حرية العمل

العمل	تعريف	الشروط التى يتطلبها وملاحظات	النتائج المنتظرة منه
الاختراق (بالقوة)	اصابة نقط ضعف على الرغم من معارضة الطرف الآخر ·	يجب أن تكون الامكانيات كافية لتحقيق عملية القوة هذه استغلال المبادأة التى تم الحصول عليها ·	تهدف الى حرمان العدو من حرية العمل أو انهاكه للوصول الى حرية العمل
الانهاك	وامكانياته للدفاع اجبار العدو على تبديد طاقته عن نقاط ضعفه	كما فى الحالة السابقة ولكن عملية الاستنزاف دائما متبادلة ولا تصبح هذه العملية مفيدة الا اذا كانت الامكانيات متفوقة أو اذا كانت علاقات الاستنزاف ايجابية ·	تهدف الى حرمان العدو من مخزون طاقته أو امكانياته أى من امكانيات مبادرته · للوصول الى حرية العمل
المتابعة	تحقيق أوضاع تسمح بالوصول الى نقاط ضعف العدو ·	يتم ذلك نتيجة عملية تحاشى تهدف الى الوصول من جديد الى حرية العمل المفقودة ·	الحفاظ على المبادأة للوصول الى حرية العمل
التفادى	الوقوف فى وضع يسمح بتغطية نقاط ضعفه فى الوقت المناسب ·	امتلاك الامكانيات الضرورية لتخلى يغير من معنى النضال ·	تهدف الى اعادة الامن للوصول الى اعادة حرية العمل ·
التجنب	حماية نقطة ضعف معرضة لهجوم ·	يجب أن تكون الحماية فعالة ولاتؤدى الى كشف نقاط ضعف أخرى ·	للوصول الى حرية العمل
الرد (على الهجوم)	اصابة نقط ضعف معادية تجعل العدو يتخلى عن هجومه ·	يجب أن تكون نقطة الضعف حاسمة أو على الاقل حساسة بالنسبة للعدو ·	تهدف الى أخذ المبادأة من جديد للوصول الى حرية العمل

العمل	تعريف	الشروط التى ينطبها وملاحظات	النتائج المرجودة منه
الافلات	وضع نقطة ضعف المعرضة للهجوم بعيدا عن متناول أيدى العدو ·	ارغام العدو على اتخاذ ترتيبات جديدة كما لايجب الكشف عن نقاط ضعف أخرى ·	اعادة الامن للوصول الى حرية العمل
التحاشى	عملية تحاشى عامة تهدف الى التخلى عن موضوع نزاع محدد ·	يجب أن يكون موضوع النزاع المتخلى عنه غير ذى أهمية حاسمة ·	اعادة الامن للوصول الى حرية العمل
التهديد	اتخاذ ترتيبات تسمح بمهاجمة نقط ضعف العدو ·	١ـ امتلاك الامكانيات · ٢ـ تهديد نقطة ضعف حساسة بدرجة كافية ·	تهدف الى الحد من حرية العمل
التحيص	تغيير المخططات لجعل هجوم العدو ينصب على نقاط ضعف محمية ·	امتلاك الامكانيات الضرورية التخلص بغير معنى النضال ·	بهدف اعادة الامن

قد تبدو هذه الملاحظات الخاصة بالمبارزة بالسيف (الشيش) لأول وهلة بعيدة الصلة بالاستراتيجية الحديثة · ولكن الواقع غير ذلك · ان الجدول رقم (٢) المرفق يبين ، على سبيل المثال أشكال العمل الخاصة بكل حل من الحلول ، أولا فى الاستراتيجية العسكرية لحرب عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ ثم فى استراتيجية الردع الحالية · ويمكن تصميم جدول مشابه للاستراتيجية الشاملة والاستراتيجية «غير المباشرة» وحتى للاستراتيجيات المالية والديبلوماسية أو السياسية · وسوف نرى فى ذلك على سبيل المثال أن المرادف الاستراتيجى لمعركة أردين عام١٩٤٤ هو فى استراتيجية الردع ، برنامج الصواريخ السوفيتية عابرة القارات وأن مرادف حملة الحلفاء البحرية فى البحر المتوسط عام ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤ هو تطور السلاح الذرى التكتيكى ، ويصبح مفهوم الأمن ، والذى يعتمد تقليديا على التوزيع المناسب فى مجال الردع سبق لكل تقدم للعدو وتعتمد سرية العمل التى كانت تنجم عن المبادأة ، فى مجال الردع على تقدم العتاد (الأمن) ولكن كذلك على المقدرة على الاستمرار فى البقاء وعدم التأكد من امكانيات التصعيد حتى أقصى الدرجات الممكنة (التهديد) ·

ويعد الاعتراف بهذه المرادفات من الاهمية بمكان لادخال مفهوم واع للمناورة الدائرة وامكانيات ردود الفعل التى يجب أخذها فى الاعتبار ، فى توجيه استراتيجية ·

(ب) مذاهب المناورة :

ان المرء يجد نفسه أمام عدة مذاهب متعارضة عند اختيار ردود الفعل هذه أمام عدة مذاهب ٠

يأخذ المذهب الأول الذى أسميه بمذهب « الديناميكية العقلية » قوة القوات المتواجهة ، فى الاعتبار ويوصى بالحل الذى يتفق أكثر من غيره مع أحسن «انتاج» لهذه القوات فيعمل على حشد الجهود حتى يمكن تفكيك الكتلة الرئيسية للعدو الأمر الذى يؤدى الى هزيمة كل القوات الباقية ٠ وسيتم القتال من الند للند ، ويجب أن تتحقق النتيجة على المسرح الرئيسى للعمليات ٠ وهذه الاستراتيجية هى تلك التى استخلصت فى نهاية القرن التاسع عشر من نظريات « كلوزويتز» وهى تلك التى أوحت فى فرنسا بالخطة رقم ١٧ الشهيرة لعام١٩١٤ ٠

أما المذهب الثانى الذى أسميه مذهب « التدبيرات » فيأخذ فى الاعتبار القيمة السيكولوجية للعمل المزمع القيام به ويوحى باختبار الحل الذى يؤدى الى البلبلة واشاعة الفوضى والحسرة فى ميدان تنبؤات العدو ، ويؤدى هذا فى غالبية الاحيان الى تشتيت قواته هو (أو جهوده) لدفع العدو الى فعل الشىء نفسه ومحاولة احراز النصر بوساطة عمليات من الجانب الأقوى الى الجانب الأضعف ، عند الضرورة على مسارح (العمليات) الثانوية أو حتى البعيدة عن مراكز (العمليات) وقد قدم ليدل هارت ببراعة هذه الاستراتيجية « كترياق » لاستراتيجية « كلوزويتز » بصفتها تقليدا بريطانيا بحتا(١) ٠

الجـــدول رقم (٢)

المرادفات فى مختلف الاستراتيجيات

العمليات	مرادفات فى الاستراتيجية العسكرية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥	مرادفات فى استراتيجية الردع	
		تعريف	أمثلة
الهجوم	عملية « أوفرلورد» ١٩١٤ « أردين » ١٩٤٠	تحقيق تقدم فنى من شأنه شل نظام أمن العدو ٠	الاسلحة الهيدروجينية الامريكية ثم السوفيتية ـ برنامج الصواريخ السوفيتية كوبا ١٩٦٢
المباغتة	الهجوم الالمانى فى أردين	تحقيق تقدم يسبق	الصواريخ اسوفيتية

(١) الطريقة البريطانية فى الحرب والاستراتيجية ٠

العمليات	مرادفات فى الاستراتيجية العسكرية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥	مرادفات فى استراتيجية الردع	
		تعريف	أمثلة
	عام ١٩١٤ نزول قوات الحلفاء فى شمال أفريقيا	بكثير التوقعات ·	القنابل الذرية والهيدروجينية السوفيتية ·
التظاهر	الهجوم الالمانى على هولندا فى عام ١٩٤٠	دفع العدو عن طريق تحقيق تقدم ما الى الدخول فى سباق تكنولوجى ولكن فى اتجاه مغاير للاتجاه المتبع بالفعل ·	نافذات القنابل السوفيتية لعام ١٩٥٥
الخداع	تهديد الحلفاء «لبولونى» فى عام ١٩٤٤ قبل انزال قواتهم ·	الايحاء بقرب تحقيق أى تقدم (علمى أو فنى) أواخفاء التقدم الذى تم بالفعل ·	الفضاء
الاختراق	معركة نورماندیا ـ سانت لو ـ العلمين	سبق العدو فى فوقه فى ميدان يبذل فيه جهدا ·	زيادة قدرة ارتفاع وسرعة طائرات الولايات المتحدة فى عام ١٩٥٥
الانهاك	« فردان » (١٩١٦) ستالينجراد وحملةروسيا غارات الحلفاء الجوية على ألمانيا ·	جعل العدو يقوم باتفاقيات هامة تفوق اتفاقيات الطرف المعنى فى ميدان يسوده التسابق ·	السباق التكنولوجى برمته ·
المتابعة	حملة فرنسا عام ١٩٤٠ من الجانب الالمانى · الذهاب والاياب فى حملة ليبيا ·	استغلال تفوق ما للحصول على ميزة سياسية جزئية ·	التغطية السوفيتية لمصر وكوبا ـ عمليات لبنان ·

العمليات	مرادفات فى الاستراتيجية العسكرية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥	مرادفات فى استراتيجية الردع	
		تعريف	أمثلة
التفادى	معركة نورماندیا من الجانب الالمانى ٠	اعادة طاقة نظام الأمن بتدخلات أو بانجازات ٠	خط «ديو» الفواصات الذرية و «بولاريس» دعم الاستحكامات
الرد على الهجوم	معركة أردين عام ١٩٤٤ من الجانب الالمانى ٠	لرد على ما يسبق ضرر من شأنه ضعاف نظام أمن عدو ٠	برنامج الصواريخ السوفيتية كوبا عام ١٩٦٢ ـ من الجانب الامريكى ٠
الافلات	الانسحاب الالمانى الى نهر لورين بعد معركه نورماندیا ٠	؟	؟
التحاشى	الهند الفرنسية عام ١٩٤٠	اتفاقية تسليح أو تراجع سياسى بتفادى الصدام (العسكرى) ٠	كوبا ١٩٦٢ من الجانب السوفيتى ٠
التخلص	الحرب البحرية فى البحر المتوسط عام١٩٤٢ لعزل رومل فى ليبيا ٠	تحقيق تقدم يجبر العدو على تغيير مخططاته الدفاعية ٠	السلاح الذرى التكتيكى
التفادى	الدفاع عن بريطانيا العظمى عام ١٩٤٠	سبق ما أحرزه العدو من تقدم ٠	السباق التكنولوجى والمخابرات ٠
التهديد	التديد بانزال قوات الحلفاء فى فرنسا عام ١٩٤٤ ٠	أوضاع يمكن أن تؤدى الى التصعيد الى أقصى مدى ٠	أسلحة ذرية تكتيكية ، تكتيك الاستمرار فى البقاء

وهناك أيضا مذاهب أخرى عفا عليها الدهر : المذهب الهندسى الذى استخلصه البروسيون من « النظام المنحنى » لفردريك الثانى ، والمذهب الجغرافى لجومينى والذى يتصل بتفسير انتصارات نابليون ·

وفى الحقيقة فأى من هذه المذاهب ليس له قيمة مطلقة · واذا نحن استثنينا المذهب الهندسى الذى اندثر حقيقة (ولكن ألم يعد اليه المذهب الفرنسى فى عام ١٩٣٠ فى شكل اخر ؟) فان كلا منها خاص بعملية يمكن أن تكون الافضل فى بعض الحالات والأسوأ فى حالات أخرى : « فالديناميكية العقلية » تخص اما الحالة التى نكون نحن فيها الجانب الاقوى (ولكن لماذا اذن أن نتحمل كل هذه المتاعب ؟) أو تلك الخاصة بعدو يتفوق من حيث القوات ولكنه مشتت بطريقة خطرة · وتفرض « التدبيرات »نفسها عندما نكون نحن فى الجانب الاضعف ، وهى دائما مفيدة لبلوغ التفوق على شرط ، طبعا ، أن نعرف كيف نتفادى التشتت بدرجة أكبر من العدو · وتلعب « الجغرافيا » دورا هاما جدا فى الاستراتيجية العسكرية عندما يكون مسرح العمليات فقيرا من حيث طرق المواصلات (كما كانت الحال فى أوربا فى عهد نابليون) ويشكل أرض مواجهة محددة تماما (فى أيامنا هذه تتكون أرض المواجهة من القارات والبحار) ·

وهكذا فان اختيار ردود الفعل يجب أن يخضع فقط لدرسة الوضع الخاص ويجب فى غالبية الاحوال استخدام عدة مذاهب على التتابع ·

(ج) أنماط الاستراتيجية :

ومع ذلك فعند دراسة أية خطة من خطط العمليات سينتهى بنا الامر غالبا الى تحديد موقف عام يتمشى مع المذهب الذى يتطابق أكثر من غيره مع وضع الطرفين· وهكذا نعود الى المشكلة العامة الخاصة باختيار أحد « النماذج » التى درسناها فيما سبق · وتنتظم هذه النماذج المختلفة فى ميدان الأداء تبعا لنمطين رئيسيين : الاستراتيجية المباشرة والاستراتيجية غير المباشرة ·

ان الاستراتيجية المباشرة التى تتمشى مع النماذج رقم (١) ، (٣) ، (٥) ليست غير المفهوم المبنى على التوصل الى النتيجة أو الردع باستخدام ـ أو بتواجد ـ القوات العسكرية باعتبارها وسيلة رئيسية · انها اذن ، بادىء ذى بدء استراتيجية «كلوزويتز» التى هى تعميمللمفهوم المبنىعلى «الديناميكية العقلية»· وهىالاستراتيجية التى سار على هديها قادة حرب عام ١٩١٤ والقادة الالمان والامريكيون لحرب عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ · وهى كذلك الاستراتيجية التى تسود المعارضة الكامنة للقوى الذرية · ويمكن أن تستخدم الاستراتيجية المباشرة كذلك مفهوم « التدبيرات » وبخاصة بالنسبة للمدخل غير المباشر · وتتمشى الاستراتيجية غير المباشرة مع النماذج رقم (٢) ، (٣) ، (٤) وهى تكيف جميع أشكال النزاعات التى لا تهدف مباشرة الى تحقيق النتيجة المرجوة بوساطة مواجهة القوات العسكرية ، ولكن بوساطة الوسائل غير المباشرة سواء فى الميدان السياسى أو الاقتصادى (الحرب الثورية) أو حتى فى الميدان العسكرى وذلك بشن عمليات متتابعة تتخللها مفاوضات (الاستراتيجية الهتلرية فى الفترة من عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩) · وتصادف هذه الاستراتيجية شيوعا تزداد حدته منذ أن ظهر أن تهديد الحرب الشاملة حسب النمط المباشر يمكن أن يؤدى الى دمار متبادل لا يمكن قبوله · ونظرية هذه الاستراتيجية المعقدة الحاذقة لازالت غير معروفة بدرجة كبيرة ودورها دائم ومستمر فى الحرب الباردة وربما

تكون الآن الاستراتيجية الوحيدة التى يمكن استخدامها طالما أن تهديد الاسلحة الذرية يشل الاستراتيجية المباشرة ٠

وفى الحقيقة فان هذين النمطين يتعايشان جنبا الى جنب ويكمل أحدهما الآخر « فدياليكتيكية » العالم الحالى تتضمن فى الوقت نفسه « ديالتيكية » ذرية على نمط الاستراتيجية المباشرة والتى تهدف الى تجميد الطاقات الاقتصادية والصناعية الكبرى فى حين تتسرب ، من خلال تشققات نظام الردع التى تحدث بهذه الطريقة ، العمليات المختلفة الاشكال والخاصة بالدياليتيكية السياسية على نمط الاستراتيجية غير المباشرة ٠ وللاستراتيجية ، كما للموسيقى ، « نغمة » عالية وأخرى منخفضة٠

(د) عامل التغير :

وليس هذا هو كل شىء ، فيجب ابراز عامل هام آخر فى بناء مفهوم الاستراتيجية ونعنى به تغير الوسائل والبيئة ٠

فالعالم فى الحقيقة ، يتطور بسرعة كبيرة وبخاصة فى عصرنا هذا ٠ فكل شىء يخضع لتغير دائم ٠ فألمانيا عام ١٩٦٣ مثلا ليست لديها على الاطلاق امكانيات عام ١٩٣٨ ولم يعد الرأى العام يخضع لنفس المعتقدات كما أنه لايستجيب للأحداث بنفس الطريقة وتتغير « أدوات » الاستراتيجية كذلك بسرعة مخيفة ٠ فطائرة عام ١٩٤٥ أصبحت عتيقة وغير صالحة عام ١٩٥٠ ، كما أن طائرة عام ١٩٥٠ لم يعد يمكن استخدامها فى عام ١٩٦٠ ٠٠٠٠ الخ ٠

وينجم عن ذلك أن خبير الاستراتيجية لايمكنه أن يستند باطمئنان الى أية سابقة كما أنه ليس فى مقدوره أن يستخدم وحدة قياس مستقرة ٠ ويجب أن تأخذ التقديرات فى اعتبارها دائما قيمة حقيقية متغيرة ، ليس فقط فى الحاضر بل كذلك فى المستقبل وفى فترات تتخللها عدة سنوات ٠ وتنجم عن ذلك صعوبة اضافية ضخمة ٠ فبدل الاستنتاجات الصلبة الموضوعية يجب أن تلجأ الاستراتيجية الى افتراضات وتوجد حلولها عن طرق اختراعات حقيقية ٠

وهذا الجانب من الاستراتيجية هو أحد الجوانب الذى ظل أقل فهما من غيره حتى هذه السنوات الاخيرة ٠ وقد ظل التطور ، لمدة طويلة ، بطيئا الى درجة كبيرة ، الأمر الذى أوحى بامكانية الاعتماد على التجربة ٠ واذا كان المنهج التاريخى يحتفظ اليوم ببعض الامكانيات فانه ليس كافيا البتة وقد استشعر فكر « فاليرى » الثاقب منذ زمن طويل أخطاره ٠ ولما كانت الاستراتيجية مضطرة الى الالتجاء « للفروض » فقد أصبح عليها أن تناور فى الزمان كما تعلمت أن تفعل فى المكان ، فبدل أن تلجأ الى افتراضات جامدة وغير مأمونة كما تتطلب بعض النظريات الحديثة – عادة نظريات أمريكية – التى ترتكز على تحليل رياضى « للاحتمالات » يمكنها أن ترتكز على مجموعة من الامكانيات وتنظم نفسها بطريقة يمكن بها مراقبة هذه الامكانيات حتى يمكن أن تحدد فى الوقت المناسب تلك التى يتأكد وجودها والتى تتطور ، وتلك التى تختفى ٠ وهنا كذلك سيدخل عامل المناورة أى تنبؤات أكيدة تسمح بمسايرة التطور عن قرب ٠

أما عملية الاختراع التى لابد منها لايجاد – بواسطة أدوات جديدة أو مجددة – حل المستقبل الذى يتمشى مع وضع قادم مرغوب فيه ، فلا تخضع لأية قاعدة٠ ويكفى أن نقول أنها يجب أن تستبعد الروتين – المتغلغل الى درجة كبيرة فى التقاليد العسكرية التى تحددها « اللوائح » – وتلجأ للتخيل والتفكير ٠

ان هذه الحقائق الاكيدة للاستراتيجية الحديثة ، التى يدفعها ، كمدنيتنا ، التقدم المجهول والمتغير للعلم ، يجب أن تؤدى الى اصلاح عميق الجذور لعاداتنا والشىء المهم لم يعد الحاضر بل المستقبل · ان مدة تنفيذ أية مناورة (ايجادعقار جديد تغير الوضع السيكولوجى ، والتوازن الدولى ··· الخ) تتطلب عدة سنوات وتتحكم فى المستقبل · وأصبح « الاستعداد » يفوق « التنفيذ » فى الاهمية · وهذا يعنى انه أصبح من العبث انفاق المليارات على نظام الدفاع الوطنى تكون قيمته المستقبلة غير أكيدة فى الوقت الذى يجب أن يكون المرء فيه على علم بمجريات الامور وقادرا على التنبؤ · وتحتم هاتان الضرورتان اليوم الاهتمام (وتكريس الانفاق) بأجهزة الاستعلامات والدراسة العميقة بوساطة قرارات مدروسة أخذت فى الوقت المناسب · وربما يقبع هنا الاصلاح الاكثر عجلة وأهمية اذا أردنا أن نظل على مستوى عصرنا ·

سأنهى هذه الدراسة السريعة بواسطة مقارنة بسيطة · ان خبير الاستراتيجية يشبه الجراح الذى عليه أن يجرى عملية لمريض يعانى من النمو الدائم والسريع جدا دون أن يكون على علم تام بطبوغرافيته التشريحية وعلى منضدة عمليات فى حركة مستمرة وبوساطة أدوات جراحية كان قد طلبها منذ خمس سنوات مضت على الاقل ···!

نتائج :

هكذا نرى كيف يمكن أن تكون مباراة «شطرنج» الاستراتيجية على درجة كبيرة من التعقيد ، فهذه المباراة تجرى ، فى الوقت نفسه بنفس القرارات عدد البدائل عند مستوى كل من الاستراتيجيات التى يجب أن يجمع فيما بينها للوصول الى القرار نفسه (أو النتيجة) قد يساعد العقل الالكترونى فى هذا الميدان ولكنه لا يستطيع التكهن بجميع امكانيات العمل وردود الفعل فيما وراء بعض الضربات !·· وهذا هو ما يفسر أن أحدا تقريبا لم يحاول أبدا الالتجاء الى القيادة « العلمية » للاستراتيجية · وعندما تم ذلك بالفعل – فى عهد نابليون خاصة(١) – فلأن ظروف ذلك العهد الخاصة كانت تسمح بخفض العوامل المؤثرة لدرجة كبيرة ·

لقد اضطر خبير الاستراتيجية فى الحالة العامة ، الحكم تقديريا على العوامل العديدة جدا التى تعتبر جوهرية ، وقصر تفكيره على هذه العوامل · وهذا مايجعل من الاستراتيجية فنا وليس علما · فلم يحدث أبدا أن رسم فنان لوحة ابتداء من قائمة كاملة من القواعد النظرية · انه يرجع أحيانا فقط الى بعض القواعد للتأكد من أن عمله يعد صالحا ·

ونجد الشىء نفسه بالنسبة للاستراتيجية ، الامر الذى يفسر العديد من الاخطاء التى ارتكبت فى هذا الميدان ·

تطبيق الاستراتيجية :

لقد قال نابليون وهو يشير الى قواعد التفكير السليم للاستراتيجية ، أنها فن

---

(١) أنظر تحليل حملة عام ١٨٨٠ فى ايطاليا بقلم « بيير فاندرايس » فى مفهوم « الاحتمال» فى « التاريخ » ·

بسيط ولكنه ينتمى برمته الى ميدان التنفيذ · وهذا يبرز اهمية التطبيق · ومن الواضح أنه يجب توافر الكثير من التصميم والهدوء حتى تظل القرارات «محسوبة» كما يجب توافر عزيمة قوية لا تلين للابقاء على الجهود فى اتجاه الهدف المراد الوصول اليه · وهذه صفات نادرا ما تتلاقى معا ، الأمر الذى يفسر قلة عدد رجال الحرب الحقيقيين لانهم يجب أن يكونوا فى الوقت نفسه مفكرين وعمليين ·

ويثير التنفيذ فى ميدان الافكار مشكلة جوهرية أدى عدم فهمها الى حدوث هزائم عديدة · منها هزيمة فرنسا فى عام ١٩٤٠ ـ وأنا أشير بذلك الى العلاقات بين الاستراتيجية و « التكتيكات » وكما أن الاستراتيجية هى وسيلة تطبيق للسياسة العنيفة فان « التكتيكات » هى وسائل تطبيق الاستراتيجية وهذا يعنى أن «التكتيكات» يجب أن تخضع للاستراتيجية وليس العكس ·

ان مؤلفات عديدة ، ونحن لا نشير الا لمؤلفات المعاصرين من أمثال « فولر » ، « روجيرون » ، « توينبى » تفسر كل تطور الاستراتيجية ، بتطور « التكتيك » : ان الكتيبة السرية ، والفرقة ، قوس توركومان ، بارود المدافع ، البندقية السريعة الطلقات ، المدفع الرشاش ، السكك الحديدية ، الدبابة ، ونظام المحركات ، الطائرة، السلاح الذرى ···· الخ هى التى ميزت التغيرات الكبرى ، ولهذا فان جميع الجهود يجب أن تنصب على اختراع الوسائل « التكتيكية » الجديدة واستخدام « التكتيكات » المناسبة · والاستراتيجية التى عليها معالجة هذه التكتيكات يجب أن تكون خاضعة لها · ونحن هنا بصدد فكرة خاطئة على جانب كبير من الخطورة ، ومما يزيد من خطورتها أنها تتضمن جانبا كبيرا من الحقيقة ، ولكن جانبا منها فقط ·

ان الشىء الحقيقى هو أن التقدم « التكتيكى » يعد عاملا جوهريا للقوة · فالناس جميعا يعلمون أنه لايمكن ايقاف دبابة بالبنادق ، ولا اسقاط طائرة بالسهام أو أن التفوق الذى أحرزه الرومان بوساطة تسليح قواتهم والتكتيك الذى استخدمته هذه القوات ، قد سمح لهم بغزو الجزء الاكبر من العالم القديم · ومن الواضح تماما ان التقدم التكتيكى والتكنيكى يعود على من يتمتع به بميزة كبرى وذلك لان هذا التقدم يعطى امكانيات اضافية أو أكثر فاعلية للاستراتيجية ·

ولكن هذا التقدم يمكن أن يكون عديم الجدوى اذا استخدم لصالح استراتيجية سيئة · هذه هى النقطة الرئيسية التى يجب أن تظل دائمة ماثلة فى الاذهان · فلنتذكر مثلا تجاربنا الحديثة فى الجزائر : هل سمح تسليحنا وتجهيزاتنا الحديثة بالوصول الى النتيجة المرجوة ؟ ليس هناك فى الواقع «تكتيك» أمثل فى حد ذاته ، ولكن كل « تكتيك» لاتظهر قيمته الا بالقياس لتكتيك العدو· لقدلاحظنا مثلا أن رجال حرب العصابات قد أبطلوا مفعول الطائرة والدبابة ، وأن السلاح الذرى لم يسمح للولايات المتحدة الامريكية بالحصول فى كوريا على أكثر من هدنة مبنية على حل وسط · وهذا يعنى أن هناك شيئا يجب أن يسيطر على « التكتيك » ونعنى به اختيار « التكتيكات » · فاذا اختير مقاتلة الدبابات بوساطة قوات المشاة ، كما حدث فى عام ١٩٤٠ ، فمن المؤكد أن نهزم تماما اذا اخترنا القضاء على حرب العصابات بوساطة تكتيك التحصينات ، كما فعل تشانج ـ كاى ـ تشيك فى وقت ما · ان اختيار « التكتيكات » هو الاستراتيجية · ان الاستراتيجية هى التى ستقرر شكل النزاع ، هجوميا أو دفاعيا ، سريا أو عنيفا ، مباشرا أو تدريجيا

وغير مباشر ، واذا كنا سنختار النضال فى الميدان السياسى أو الميدان العسكرى ، واذا كنا سنستخدم أو لا نستخدم السلاح الذرى ... الخ · لقد كان من الجنون أن يحاول « الفيلاجا » (ثوار الجزائر) تحقيق النجاح باختيار قوة الميدان المالى أو الصناعى أو بوساطة معركة منظمة طراز عام ١٩٤٠ أو ١٩٤٥ · ولكن على العكس ، كان من المنطقى جدا أن يختاروا تكتيك حرب العصابات الذى يهدف الى تحقيق النتيجة (المرجوة) عن طريق انهاك الجانب الفرنسى ، والاعتماد على الظروف الدولية · هذه هى الاستراتيجية وهى التى يجب أن تتحكم فى الامور ·

ولا يجب أن تقتصر الاستراتجية على اختيار التكتيكات فقط ، بل عليها أيضا توجيه تطور التكتيكات حتى يمكن لهذه الاخيرة أن تقوم بدورها الضرورى لتحقيق النتيجة (المرجوة) · هكذا مثلا كان التكتيك الهجومى فى عام ١٩١٨ والذى كان بطيئا جدا لتحقيق عملية خرق صفوف العدو ، يمثل « تكتيكا » ممكنا ، ولكنه لم يكن يتفق مع الضرورات التى تحتمها النتيجة المرجوة · ان « التكتيك الضرورى » من وجهة نظر استراتيجية العمليات كان يحتم سرعة تقدم أكبر كذلك التى حققها الالمان فى عام ١٩٤٠ بفرقهم المصفحة · لقد حكمنا على أنفسنا بقبولنا تكتيكا مقطوع الصلة « بالتكتيك الضرورى » بانتهاج استراتيجية عسكرية عقيمة · ان دور الاستراتيجية ـ اذن ـ هو تحديد الهدف الذى يجب أن يصبو اليه التكنيك والتكتيك فى مجال اختراعاتهما وأبحاثهما · وعندئذ فقط يتجه التطور فى الاتجاهات السليمة المربحة لأن هذه الاتجاهات تعمل على بلوغ هدف النضال ، وهو النتيجة·

نتائج :

فى مسرحية «سيجفريد» لجيروزو(١) نرى من وقت لآخر بعض الجنرالات الالمان وهم يبحثون عن صيغة عامة للحرب تكون بمثابة الحجر الفلسفى (الذى زعم بعض القدامى أن فى مقدوره تحويل المعادن الى ذهب) الذى يتيح حل جميع المشكلات · ان هذه الصورة تعد بمثابة صورة كاريكاتورية للاستراتيجية كما أن الكيمياء (بمفهومها القديم فى تغيير طبيعة المعادن) تعد صورة كاريكاتورية للعلم · ان

---

(١) كتب جان جيرودو اكثر من ثلاثين مؤلفا بين رواية وقصة ومذكرات ومسرحية الا أنه فى المقام الاول يعتبر كاتبا مسرحيا رائدا ، ومسرحية «سيجفريد» التى يشير اليها الجنرال « نوفر » تدور أحداثها فى ألمانيا وقد مضى سبع سنوات على اندلاع الحرب العالمية الاولى · المستشار سيجفريد يتمتع بشعبية كبيرة بين الالمان وهو من جانبه يجتهد فى أن يعيد الى ألمانيا مجدها القديم· ولكن أحد كبار الساسة الالمان المنافسين ويدعى « زيلتين » يكتشف أن سيجفريد ليس سوى كاتب فرنسى يدعى « جاك قوراستيه » كان الالمان قد حملوه وهو فاقد الوعى فى ساحة القتال · وأوته ايفا قريبة « زيلتين » وقامت على تعليمه وتثقيفه ، ويرى « زيلتين » أن يخلص ألمانيا منه بأن يعيده الى ماضيه والى وطنه · ولتحقيق ذلك فانه يستقدم من فرنسا خطيبة جاك فوراستيه ويطلب اليها أن تقوم بتدريس اللغة الفرنسية لخطيبها ويقوم بعد ذلك بمؤامرة يسعى من ورائها الى الاستيلاء على السلطة ولكنه يفشل ويحكم عليه بالاعدام ، ويعدل سيجفريد الحكم الى النفى · ويكشف « زيلتين » لسيجفريد أنه ليس ألمانيا ، ويجد هذا الاخير نفسه فى حيرة شديدة : هل يبقى فى ألمانيا ويستمر فى تمثيل شخصية « سيجفريد » التى يمجدها الالمان أم يعود الى وطنه حيث لاينتظره أحد· ويختار « سيجفريد » أن يصبح من جديد « جال قوراستيه » ويعود الى وطنه فرنسا ·

الحرب ظاهرة اجتماعية على درجة كبيرة من التعقيد ، الأمر الذى يجعلها لا تخضع لأية صيغة بسيطة ليست بديهية · ومع ذلك فان العلم الحديث قد انتهى به الأمر الى تحقيق التغيرات التى كان يأمل فى تحقيقها الكيمائيون القدامى ، ولكن بوسائل مختلفة تماما عن وسائل الكيمياء القديمة ، ويجب على نفس العلم الحديث الذى يكتشف حاليا علم الاجتماع ، أن يبحث عن الوسائل الكفيلة بقيادة مصير الانسانية وهو الامر الذى ترك حتى الآن للارتجال الاكثر بدائية ·

ويجب أن تمثل الاستراتيجية فى هذا البحث أحد العلوم الهامة لأنها وسيلة العمل للسياسة الدولية ، وليس من المستحيل أن تطبق هذه الوسائل فى الميدان السياسى بمعناه المحدد أو حتى فى جميع الميادين التى تتواجه فيها ارادتان ·

ولا يمكن بغير معرفة منهج ووسائل الاستراتيجية وبغير استخدامها الواعى توجيه النضالات التى لابد منها ، مع تفادى الأخطاء التى أدت الى انهيار أوروبا ·

بل يمكن أن نأمل فى أنه بفضل هذه السيطرة يمكن تفادى العديد من النزاعات وحتى ـ وليس هناك ما يمنع ذلك ـ أن تؤدى معرفة فن النضال الى تبلور فن حقيقى للسلام لا يرتكز على اتجاهات معنوية بل على حقائق فعالة ، كما هو بالنسبة لاستراتيجية الردع الحالية ·

ولكن الاستراتيجية ليست الا وسيلة ، فتحديد الاهداف التى يجب أن نعمل على تحقيقها هى من عمل السياسة ، وتخص أساسا الفلسفة التى نريد أن تسود ·

ان مصير الانسان يتوقف على الفلسفة التى سوف يختارها وعلى الاستراتيجية التى سيحاول ، بوساطتها نشر هذه الفلسفة ·

الفصل الثانى

الاستراتيجية العسكرية التقليدية

الطابع المتطور للاستراتيجية العسكرية :

كان يجب أن تكون الاستراتيجية العسكرية التقليدية معروفة أكثر من غيرها ، ولكن هذا ليس صحيحا ، لأن القواعد التى تتحكم فيها قد صيغت بالغموض بواسطة بعض العوامل المعاصرة التى بدا أن أهميتها كان يمكن أن تكون ذات صفة دائمة ، من حيث انه كان يجب عليها التنحى لصالح عوامل أخرى ذات وزن أكبر · ولهذا فسوف ندرس المشكلة فى هذا الفصل من وجهة نظر تطور الظاهرة حتى يمكن استخلاص الخطوط العريضة التى تسمح وحدها بتفهم طبيعتها ·

لقد وضعت الحرب التقليدية نفسها دائما فى اطار الحرب الشاملة · لقد وجد دائما عنصر اقتصادى ومالى هام (عدم وجود نقود ··· ···) كما وجد دائما عنصر ديبلوماسى واضح تماما (حياد ـ تحالف ·· الخ) · وكثيرا ما وجد عنصر سياسى هام ذو طابع أيديولوجى (أهل أرمانياك وبورجونى ـ الهيجونوت والجامعة والوطنيون فى عهد الثورة وعهد الامبراطورية ـ الديمقراطيات والنازية··) وهذا العنصر ذو الاهمية المتغيرة نادرا ما كان غائبا عن النزعات ·

وكان دور الجيوش فى هذا الاطار الكلى الذى يتمشى مع اهتمامات الحكومة أو الملك ذات طابع متغير واذا كان هذا الطابع غالبا ذا أهمية تفوق غيره من العوامل ، فانه لم يكن حاسما حقيقة الا خلال بعض الفترات المواتية ، وقد انكمش فى مناسبات أخرى الى وظيفة تكاد تكون مساعدة ·

ويرجع هذا التغيير فى دور الجيوش بطبيعة الحالة · أولا الى الصفات الخاصة بقادة الحرب المتواجهين ، ولكن كذلك ـ مهما كانت هذه الصفات ـ الى قدرة القوات المسلحة فى الحصول على نصر عسكرى كامل · وقد استخدمت الاستراتيجية الشاملة فى كل عصرمن العصور الوسائل (الاقتصادية والديبلوماسية والسياسية والعسكرية) التى بدا أنها أكثر فعالية · ولهذا فان القوات المسلحة لم تقم بدور أكثر أهمية الا عندما كان فى مقدورها تحقيق النتيجة المرجوة بمفردها ·

لقد تغيرت هذه القدرة على تحقيق النصر من جانب القوات المسلحة تغيرا عميقا خلال التاريخ وذلك نتيجة لامكانيات الساعة العملية والناجمة عن التسليح والتجهيزات وطرق الحرب والتموين الخاصة بكل من الاطراف المتواجهة · ونادرا ما نظر لهذا التغير بطريقة صحيحة ، بل على العكس لقد فاجأ التطور بوجه عام الخصمين اللذين اضطرا الى البحث بطريقة مرتجلة عن حلول جديدة تؤدى الى تحقيق النتيجة المرجوة ·

لقد استطاع قائد عسكرى عبقرى ـ والذى لازال نابليون هو مثاله ـ وبطريقة استثنائية تحقيق التوق وقتيا ، عن طريق تطور الفكر ، وبالتالى التفهم الذى نجح فى تحقيقه ولكن الامر انتهى بهذا التقدم الى ابراز التكيفات الضرورية للعد وأصبح السجال متساويا من جديد بعد مرور زمن معين ٠

وهكذا فان أحد العناصر الرئيسية للاستراتيجية العسكرية كان يمكن دائما فى تفهم أسرع من العدو ولتغيرات الحرب وبالتالى فى أن يكون المـــرء على مقدرة بالتنبؤ بنفوذ العوامل الجديدة ٠ وقد سمحت هـــذه الاخيرة أو منعت على التوالى الدفاع المظفر عن الاماكن المحصنة والمعـــارك الحاسمة أو العمليات الخاطفة ٠ وأصبحت الحرب فى مراحل طويلة متعاقبـة تارة قصيرة وبهيجـــة وتارة طويلة ومنهكة وحتى غير قادرة أحيانا على تحقيق نتائج ذات قيمة ٠ وأصيب المعاصرون عند تغير كل مرحلة بالارتباك لأن « الوصفات » القديمة كانت قد فقدت قيمتها ٠ ولكن « الوصفات » الجديدة التى بدا أنها تعالج بصـــفة نهائية العقبات المثارة كانت لها دائما فعالية محدودة ٠ وهكذا فان التفهم الكامل لطريقة تتطور الطابع الجوهرى للقوات المسلحة هو الذى يشكل المفتاح الرئيسى للاستراتيجية العسكرية٠

استراتيجية المعركة :

ان القرار العسكرى (النتيجة) فى صورته الخالصة هو ذلك الذى ينتج عن المعركة المظفرة ٠

ان طريقة سير المعركة فى أشكالها المتباينة جـــدا يمكن أن تتلخص فى صورة بسيطة نسبيا ، فالطابع الجوهرى للمعركة البرية يقبع فى الواقع فى مواجهـــة حائطين بشريين يتكونان من المقاتلين ٠

ويرجع التكوين على هيئة حائط الى الضرورة ، بالنسبة لكل مقاتل ، فى أن يحس بأن ظهره وجانبه محمى أو مغطى بوســـاطة زملائه ٠ ولما كان كل مقاتل يغطى ومغطى فى الوقت نفسه فان الامر ينتهى سريعا الى تكوين صفوف شديدة التقارب بدرجة أو بأخرى ومنتشرة فى الاعماق بدرجة أو بأخرى كذلك ، حسب مميزات الساعة التكتيكية ٠ ولكن هذه الحماية تنتهى عند نهاية الصف ، الأمر الذى يجعل من الجوانب الجزء الضعيف طبيعيا من القوات ٠ وقد أدى ضعف الجوانب هذا أولا الى محاولة تحقيق النصر بوســـاطة « الاجتياح » ثم بوساطة « الالتفاف » حول جانب العدو وذلك بعمل جبهة قتال أكثر اتساعا من جبهـــة العدو ولكن لما كان توسيع الجبهـــة ـ باستثناء الحالة التى كانت فيها القوات المتحاربة غير متكافئة بدرجة كبيرة ـ يؤدى فى مكان ما الى اضعاف خط المعركة فقد كان فى مقدورهم كذلك امكانية استغلال هذا الوضع ٠ بوساطة عملية تهدف الى قطع الصف المعـــادى ، الأمر الذى يخلق ، بطريقة صناعية ، عند العـــدو جوانب جديدة ضعيفة ٠ وهكذا فان هدف المعركة كان يرمى الى نشر الفوضى فى القوات المتماسكة المتناسقة والتى تتكون من حائط المقاتلين وكان نشر الفوضى هذا ينجم عن عمليات تطويق أو قطع وخرق ٠

وعندما كان يتم تصدع حائط العدو وكان الدفاع ينهار ٠ وكان الخطر الناجم عن ذلك بالنسبة لكل جندى يولد صدمة سيكولوجية تؤدى الى تبخر الرابط المعنوى الذى يجمع بين المقاتلين ويتحول الجيش المتصدع الى جمهرة من الاشخاص وكانت

هذه الجمهرة تصبح فى العهود القديمة فريسة سهلة للقاهر المنتصر ، وكانت هذه هى مرحلة المذابح التى يخضع خلالها المهزوم لحـــد السيف ، فى حين لم يكن المنتصر يتحمل غير خسائر طفيفة · وفى الأزمنة الحديثة حول بعض المقاتلين مرحلة المذابح الى مرحلة تقهقر ، مرحـــلة هرب وتعقب تمنع اعادة تكوين الجيش ككل متماسك ، وتحتم مناورة الاجتياح حركة أسرع من حـــركة خط المعركة · ولهذا فان الأجنحة كانت تتكون تقليديا من الفرسان · وفى العصر القريب من القوات الميكانيكية والمصفحة · أما مناورة الخرق (خرق الصفوف) فتتطلب قوة هجومية أكبر كانت تتحقق بوساطة تجمع جيـــد من عناصر المقدمة (سلاح الفرسان ـ المصفحات ـ الأفيال ـ الدبابات) وأسلحـــة قتال مختلفة (سهام ـ مقلاع ـ أحجار ـ نيران قوات المشاة والمدفعية) تتمتع بحرية حركة كافية لتستطيع خرق جبهة العدو وبسرعة ·

وتوقف اختيار هاتين الطريقتين الهجميتين على طبيعة الارض وعلاقة القوى ولكنه خضع كثيرا كذلك لفعالية التكتيك الهجرمى ضد التكتيك الدفاعى للعدو· وقد تطورت هذه الفعالية باسمترار· لقد كانت تخضع فى البداية للممارسة بالسلاح الابيض من جانب كل مقاتل من مقاتلى الصف ، يحميه ـ أولا ـ درع وأحيانا عقبة فى شكل حفرة أو «خوابير» والتجأت سريعا الى استخدام أنماط مختلفة من القذائف من السهم أو النبلة الى المقلاع الرومانى ، ومن المســدس الى قنبلة المدفع والقذيفة كان يجب على الهجوم اذن أن تكيف مع هذه الصعاب بوساطة تكتيكات مناسبة مستخدمة الاسلحة الأكثر قوة القـــادرة على السيطرة على أسلحة العـــدو (أى انقاص فاعليتها بدرجة كافية) أو حتى هدم حائط المقاتلين فى المكان الذى يراد اختراقه · وقد أعطت مواصـــفات الاسلحة فى بعض العهود التفوق لعمليـــات الدفاع · وفى عهود أخرى لعمليات الهجـــوم الأمر الذى نجمت عنـــه تدبيرات مختلفة جدا ·

وبطبيعة الحال فان هذه الخطوط العريضة للمعركة تزداد تعقيدا لأن عمليـــة الاجتياح أو اختراق صفوف يمهد لها دائمـــا بوساطة مبارزة مناسبة من نصب الفخاخ وعمليات الاستنزاف والفكرة الرئيسية لهذه المبارزة تتلخص فى تجميـــد حركة القوات المعادية والعمل على انهيار معنوياتها عن طريق الخـــوف والاجهاد والخسائر ثم تكريس الجهود على نقطة حاسمة سواء فى الجناح أو الوسط · ولكن العدو يملك عادة من الاحتياطى ما يمكنه من تفادى هذه الضربة الحاسمة · ولهذا فان الاستعدادات يجب أن تجعل العدو ينفق هذا الاحتياطى سواء بزجه فى المعركة بطريقة خاطئة نتيجة خدعة أو باستنزاف هذا الاحتياطى بوساطة المعركة · وهكذا فان المعركة تتضمن مرحـــلة استعداد طويلة بدرجـــة أو بأخرى تعقبهـــا مرحلة الانهاء ·

اذا اقتصرنا على الجوهر فان استراتيجية المعركة تعتبر استراتيجية بسيطة · وأن ما يضفى عليها كل تعقيداتها هو أن المقاتلين بشر وليســـوا آلات حتى اذا كانوا يخدمون الآلات · فالجيش عبارة عن عناصر غفـــيرة منظمة يعتمد تناسقها على النظام والثقة المتبادلة ولهذا فان الفن فيما وراء جميع الصيغ المركبة التى تعتمد على الأشياء المادية يتلخص فى المقدرة على دعم أو استمرار هذه الرابطة السيكولوجية فى قوات أحد الاطراف واضعافها عند العدو · وهكذا فان العامل السيكولوجى له أهمية تفوق غـــيره من العوامل فهـــو الذى أدى الى التكتيـــك والمخططات المختلفة المتعددة ابتداء من الاقنعة المخيفة وصرخات الحرب أو القنابل

ذات الصفير لطائرات « ستوكا » حتى مناورات الخداع والمفاجآت التى تهدف الى احداث ما كان نابليون يسميه « بالحدث » الذى يؤدى ظهوره الى انهيار معنويات العدو بطريقة مفاجئة · ولا تخضع استراتيجية الحدث هذه لأى تصنيف فهى تعنى أحيانامقاتل الصف ولا تخص أحيانا غير قائد العدو عن طريق القضاء على ثقته فى مواقعه الخاصة · ولهذا فان النتيجة العسكرية الخالصة كانت أحيانا نتيجة استراتيجية عليا بدون أن تكون المعركة جادة ·

ولكن هذا التصميم يخص المعـــارك البرية فى المقام الأول · ويلعب العـامل السيكولوجى فى البحر وفى الجو دورا أقل أهمية لأن الرابطة بين المقاتلين تنجم عن العتاد ، فلا يمكن التخلى لا عن سفينته ولا عن طائرته · ونتيجة لذلك فان العامل المادى كثيرا ما كان فائق الأهميـــة فى الاستراتيجية البحـــرية والجوية فاعتبارات السرعة وسهولة التحكم والمـــدى والحماية والوزن الخاصـة بأسلحة وحدات البحرية والجوية هى عادة اعتبارات حاسمة · ولهـــذا فبدل العمل على بث الفوضى فى صفوف العدو كما هى الحال فى المعارك البرية يجب العمل على احداث التدمير المادى · فالذى يعتـــد به بالنسبة للبحرية هو عـدد القطع التى أغرقت وبالنسبة للطيران عدد الطائرات التى دمرت والشىء المرادف لهذا القانون هو أن المعركة غالبا ما ترفض عندما لا تكون القـــوة متكافئة · وينتج عن ذلك أن التفوق المادى يؤدى الى عملية ردع هامة بمجـــرد وجوده · وهناك اختلاف هام آخر للاستراتيجيات الجوية والبحرية وهو أنه لا يوجد فى البحر أو فى الجو ما يعادل الارض باختلافاتها العديدة · ولما كانت المعركة تدور فى وسط موحد أو فى الفضاء حيث الرياح والشمس والسحب هى وحدها التى تمثل العوامل المتغيرة فانها تتخذ طابع الشىء المخطط أكثر مما يحدث فى المعارك البرية · وأخيرا فان مفهوم الصف الذى له السيادة على الارض لم يلعب فى البحر الا دورا عابرا ، ولم يطبق أبدا فى الجو · ويتم تنظيم المعركة الجوية ـ وهى مجموعة عمليـات فردية نتيجة الاستنزاف المادى للعدو عن طريق تدمير معداته على الارض أو فى الجو · وهو يختلف اذن اختلافا جوهريا عن مفهوم المعركة الارضية ·

ويمكن أن نلاحظ بهذه المناسبة أن هذا الاختـــلاف الرئيسى له فى أيامنا هذه نفوذ هام على المفاهيم الخاصة بالحرب · فالاستراتيجيـــة البرية ـ المبنية على بث الفوضى تحاول تحقيق النصر بوساطة المخططات والمناورة · أما الاستراتيجية الجوية فتهدف الى احداث التدمير المادى وينحصر تفكيرها الأكبر فى العتاد · ويتعارض هذان المفهومان ويتحدان فى أفكارنا الخاصة بالحرب الحديثة · وسوف تتاح لنا الفرصة للعودة الى هذه النقطة مرة أخرى ·

استراتيجية العمليات البرية :

لا تمثل المعركة فى الحرب غير لحظة ونقطة نهائية · ويجب على القوات التى ستتطاحن فيها أن تضع نفسها ، أولا ، فى وضـــع القتال ، كما أنهـا ستحاول بطبيعة الحال خوض المعـــركة فى أحسن الظروف · وتكون مجمـوعة الترتيبات والمناورات الناجمة عن ذلك « العمليـــات » وقد خضعت العمليات ، مثل المعركة وربما أكثر منها لتطور هام جدا مع تغير تجهيزات وتسليح القوات · وقد ساهمت عوامل أخرى مثل اتساع مسرح (العمليـــات) بالنسبة لحجـــم القوات وسرعة تحركها أو مثل أرض المعركة على تنويع شكل العمليات أكثر فأكثر ·

المرحلة الأولى : عمليات ومعارك متميزة ومستقلة عن بعضها البعض :

كانت العمليات مستقلة تماما عن المعركة فى المرحلة التى استمرت من العهود القديمة حتى نهاية القرن الثامن عشر · فالتسليح خلال هذه الفترة الطويلة لم يكن فى الحقيقة يكسب التشكيل المنعزل غير طاقة مقاومة ضعيفة · ولكى يستطيع الجيش أن يتحرك فى أمان كان عليه أن يظل متجمعا · ولما كان حجمه متواضعا فلم يكن يمثل غير نقطة فى الفضاء تبحث عن النقطة الاخرى التى يمثلها الجيش المعادى · ولما كان استخدام قواته ، من ناحية أخرى ، لا يمكن أن يتم الا بعد تنظيم القوات « فى وضع المعركة » أى بعد مرور فترة زمنية معينة قد تستمر من بضع ساعات حتى يوم كامل · فان الجيشين عندما كانا يلتقيان كان فى مقدورهما دائما رفض المعركة بانسحابهما · وهكذا فان المعركة كانت « تعرض » أو تقبل ، المعركة التى يفرضها العدو أو يتم تحاشيها ، وهو ما أطلق عليه « المعركة بالموافقة المشتركة » ·

وكانت العمليات تهدف وقتئذ الى اجبار العدو على قبول المعركة فى ظروف غير مواتية له وكان يعمل على الوصول الى النتيجة (المرجوة) باجتياح أراضى العدو وانزال الخسائر الفادحة به · وكان الدفاع يلجأ ، للحد من هذا العمل ، الى نظام الأماكن الحصينة التى تشكل اطارا تتحرك الجيوش داخله · ويعمل المعتدى على اجبار المدافع على خوض المعركة بفرضه الحصار أمام مدن هامة وبتهديده بالاستيلاء عليها · وكانت حرب الحملات هذه الموجهة لسلسلة من الأماكن الحصينة تمثل ذروة الفن ، خاصة فى القرن السابع عشر ولم تكن الانتقادات الخاصة بتجردها من الشجاعة لتستند الى حقيقة ما · فلقد كانت بطبيعة الحال الحل الوحيد الممكن فى ظل ظروف العصر · ولما كانت نتائج المعركة ، من ناحية أخرى دائما غير مضمونة ـ وكان يمكن أن تعرض ليس فقط نتائج الحملة للخطر بل كذلك رأس المال الضخم الذى تمثله الجيوش فان كل جنرال يحاول عدم قبول المعركة الا عندما كان يعتقد اعتقادا شبه مؤكد بالنصر سواء نتيجة تفوق عددى كبير أم بفضل ميزات كثيرة خاصة بأرض المعركة · وقد نجمت عن ذلك حملات طويلة الأجل تتخللها عمليات حصار ضئيلة الفعالية · وقد عبر الماريشال « دى ساكس » فى كتابه « أحلامى » بوضوح تام هذا المفهوم الذى يعد ـ وهو أمر يجب أن تكرره ـ منطقيا تماما : « اننى لا أؤيد المعارك وأنا واثق من أن الجنرال الأريب يستطيع خوض الحرب طوال حياته دون أن يضطر الى الدخول فى المعارك · يجب الدخول فى اشتباكات متصلة والقضاء على العدو بالتدريج وليست هناك غير هذه الوسيلة لاخضاعه والسير بالأمور قدما ، وأنا لا أدعى بذلك أنه لا يجب مهاجمة العدو عندما تتاح الفرصة لسحقه ولكننى أريد أن أقول أنه يمكن خوض الحرب دون ترك أى شىء لمصادفات (المعركة) ويعد ذلك هو ذروة كمال وحصانة الجنرال » · كانت هذه هى أهداف وصفات العمليات القديمة التى حاول البعض أن يدعى فيها اهتمامات حرب ناعمة أو حذر المكاتب ·

المرحلة الثانية : العمليات والمعارك متميزة ولكن مرتبطة :

ومع ذلك فعند نهاية القرن الثامن عشر أصبح لدى خيرة المفكرين العسكريين (بيسيجود ـ فولار ـ جيبير ـ وخاصة هذا الاخير) الشعور بأن السلاح الجديد

يمكنه أن يجعل ممكنا شكلا من العمليات أكثر فعالية • فتطوير البندقية أدى فى الواقع الى تزايد قوة اطلاق النار ، الأمر الذى سمح بتنفيذ نظام المعركة المسمى بالنظام الرفيع (على ثلاثة صفوف) الذى أدى بدوره الى مد الخطوط المحصنة أكثر فأكثر مما نجم عنه شل العمليات • وأصبحت الحروب طويلة لا نهاية لها • ومنحت زيادة قوة اطلاق النار الآن للتشكيل المنعزل امكانية المقاومة لفترة ما • وأصبح فى مقدور الجيش أن يتجزأ للتحرك بل لسد حاجياته وذلك بالحصول عليها من موارد البلاد • وقد ظهر مبدأ « التقسيم الى فرق » الذى صاغه جيل من مفكرى دائرة المعارف (الاسكلوبيديين) والذى أدت امكانياته الى احداث ثورة فى ميدان العمليات • وكان « جيبير » يأمل من كل قلبه فى ظهور اسكندر أكبر جديد لتطبيق نظرياته • وكان نابليون هو أول من أدرك كل الفوائد التى يمكن استخلاصها من الامكانيات الجديدة •

ويرتكز نظام عملياته على تفرقة مطلقة بين القوات المقدر لها الاشتباك فى العمليات المتفرقة والتى تشكل شبكة كبيرة وقوات المعركة المركزة • وكان العدو ، الذى يناور بالطريقة القديمة يظل متجمعا بدرجة أو بأخرى • وكان نابليون بشبكته الكبيرة يمنع العدو من استطلاع نقطة تجمعه المستقبلة ، وكان يعميه ويشل حركته • وكان عندئذ يستطيع محاصرته اذا ظل ثابتا (كما حدث فى أولم) أو – وهو أمر أفضل – تخطيه ليجىء ويرابط على خط المواصلات لاجباره على خوض المعركة بجبهات مقلوبة (كما حدث فى بيينا) وعلى أية حال لم يكن فى مقدور العدو تفادى القتال وكان عليه أن يقبل المعركة حتى فى ظل ظروف مواتية له • ان العمليات فى هذه المرحلة هى التى تتحكم فى المعركة ، وتصبح الحرب من جديد حاسمة وعنيفة •

ويعتبر تكتيك العمليات النابليونية سينيماطيقيا(١) وخاصة بالامدادات والتموين ف المقام الأول • فالأمر يعنى دائما تقديرات وحسابات الحركة التى تسمح بحشد وتركيز القوات وبتحقيق المساندات المتبادلة وعمليات الالتفاف ، والحسابات الخاصة بعمليات الامداد والتموين التى تتيح هذه التحركات • ولما كان نابليون يملك ، من ناحية أخرى جيشا مدربا تماما فى ميدان « التكتيك » وبالتالى قادرا تماما على خوض المعارك وتفاديها فقد أتاحت له استراتيجية عملياته العسكرية نصرا بعد نصر •

ولكن العدو قد تعلم قواعد «اللعبة» شيئا فشيئا وأصبح أقل دقة وانتهى به الأمر كذلك الى الالتجاء الى قوات عاملة منتشرة على شكل شبكة تغطى جزءا كبيرا من مسرح العمليات • وازدادت صعوبة المناورة النابليونية شيئا فشيئا حتى أدى ضعف الامكانيات الفرنسية بالنسبة لامكانيات العدو الى الهزيمة •

وكثيرا ماصيغت التعاليم المستوحاة من استراتيجية العمليات العسكرية الخاصة بنابليون نتيجة الميل الى اعتبار هذه المناورات كصيغ مطلقة فى حين أنها لم تكن صالحة للتنفيذ الا فى ظل ظروف الساعة • ولا يجب أن تجرنا الدقة الخارقة للعادة لحسابات الامبراطور الى الخطأ ، فلقد كان يتمتع على وجه الخصوص بتقديم كبير فى ميدان التفكير على أعدائه ، مما زاد من قيمة هذا السبق الجو

---

(١) نسبة الى ذلك الجزء من علم « الميكانيكا » الذى يدرس حركة الاجسام بغض النظر عن القوى التى تنتجها كما ورد فى معجم (لاروس) « المترجم » •

السياسى الذى كانت الجيوش الفرنسية تقاتل فى ظله · تحت شعار أفكار الثورة· وقد كان الوطنيون فى كل مكان تقريبا (فى ايطاليا والمانيا) يجيئون لدعم عملنا· وعندما نضب معين هؤلاء ، فى اسبانيا وفى روسيا ، أصبحت المخاطرالتى ينطوى عليها هذا النوع من العمليـــات ، كبيرا للغاية · وفى الحقيقة فان أحدا منـــذ نابليون لم يستطيع اعادة تطبيق هذه المخططات ·

المرحلة الثالثة : اختلاط العمليات والمعارك :

وهناك سبب آخر أكثر أهمية فزيادة « قوة ضرب النـــار » التى أتاحت فى ، فى وقت معين تحقيق هذه الحلول ، جعلتهـــا مستحيلة باستمرار تطورها · فزيادة قوة ضرب النار وعدد قوات الجيوش جعلت القوات السيارة ، فى القرن التاسع عشر ، قادرة أكثر على أن تتحول سريعا الى قوات لخوض المعارك · فلقد أصبح النظام القديم للقوات السيارة التى تتقـــدم على شكل شبكة واســـعة تتكون من الطوابير المتوازية بمثابة « جبهة » كما أصبحت القوات السيارة وقوات المعـركة على درجة كافية من الكثافة لتشـــكل حائطا بشريا شبه مســـتمر · واختلطت العمليات بالمعارك عند نهاية التطور · واختفى فن العمليات القـديم بالمعنى الذى أضفاه عليـــه كل من الماريشال دى ساكس ونابليـون · وعلى العكس ارتفعت استراتيجية المعركة الى مستوى العمليات · ولما كانت طاقة الجبهات الدفاعية قد ازدادت بدرجة كبيرة نتيجة لزيادة « قوة ضرب النار » فقد أصبحت عملية اختراق (الصفوف) أكثر صعوبة · وأصبح جوهر العمليـات ينحصر فى الالتفاف حول الاجنحة المكشوفة (ويرث ـ سيدان ـ موكرين ـ خطة شـليفين) على جبهـــة أكثر اتساعا من جبهة العدو · وراحت الجبهات تتضاءل فى الحجم وتمتد (طولا) خاصة وأن التسليح الرخيص وعمليات التجنيد والسكك الحديدية قد أتاحت انشاء جيوش يزداد عدد أفرادها باستمرار ·

وهكذا نجد أنه تبلورت ظاهرة لم يدرك المعاصرون معناها : لقـــد أصبحت عملية الاجتياح غير حاسة النتيجة الا اذا أمكن تنفيذها بسرعة ، قبل انسحاب العدو أو تدخل قوات الاحتياطى · وبقيت الحال على هـــذه الصورة طالما ظلت الجبهات ذات أحجام متواضعة وقوات الاحتيـــاطى ليست أكثر سرعة من القوات الضاغطة ·

ولكن عندما أصبحت الجبهة فى عام ١٩١٤ تصل فى امتدادها الى ٣٠٠ كيلومتر وأصبحت خطة « شـليفين » تحقيق الالتفاف بوساطة جنـــاح من المشاة ، فقدت المناورة كل فعاليتها ، فلقد أصبح فى مقـــدور الجبهة المهاجمة أن تفادى الهجوم بسهولة بوساطة التراجع · وبفضل القوات الاحتياطية التى حملتها عربات السكك الحديدية ، مكونة عند باريس كتلة قادرة على اجتياح الجناح الضاغط · وهكذا وقعت معركة « المارن » ولكن فى مقدور العدو كذلك أن يتفادى الجهوم عن طريق التراجع · كما كان يرد طبقا لطرق ذلك العصر ، بعملية اجتياح جديدة تخضع بدورها للاجتياح وكان السباق صوب البحر هو الذى يكرس الفشل النهائى لمناورة الالتفاف · « واستقرت » الجبهة الممتدة الآن من سويسرا حتى بحر الشمال · وانتهى العصر « السينجاطيقى » للمعمليات ·

المرحلة الرابعة : جبهة المعركة تساوى مسرح العمليات :

يعد شكل « استقرار » الجبهات الذى غطى جميع مسرح العمليات مفاجأة كاملة

للخصمين ومع ذلك فان هـذا الوضع كان قد تحقق أثنـاء حرب الانفصال وفى منشوريا حيث استخدمت تحصينات ساحة القتال بدرجة كبيرة ، ولكن وجود أجنحة مكشوفة قد سمح مع ذلك ، بالالتجاء الى عمليـات الاجتياح · ونجمت ظاهرة « الجبهة المستمرة » و « الستكاتيكية » من القوة الدفاعية الهائلة التى تملكها الآن قوات المشاة المسلحة بالمدافع الرشاشة والتى تحميهـا الأسلاك الشائكة داخـل الخنادق وكذلك وجود قوات ضخمة تخوض غمار الحرب · ولما لم يعد من الممكن تحقيق الالتفاف فان « العمليات والمعركة » كانتـا تهدفان الى محاولة « خرق » الجبهة وهى عملية كان يؤمل من ورائها امكانية العودة الى العمليات المتحركة ·

وهكذا فالمشكلة لم تعد ، على ما يبدو ، مشكلة حركة ، ولكن مشكلة قوة · لقد أصبح من الضرورى جمع أسلحة كافيـة « مدافع ـ ذخائر » لتحطيم جبهـة العدو ثم استغلال هذه الثغرة بوساطة كتل من قوات المشـاة · وكما أن عمليات الالتفاف كانت قد فشلت لأن الجناح الضاغط كانت تنقصه السرعة ، فان عمليات الاختراق بدورها قد فشلت لأن الهجوم الذى كان يتم سيرا على الاقدام كان يتحقق بسرعة لا تتمشى مع تدفق قوات الاحتياطى بوساطة السـكك الحديدية وسيارات النقل · وهكذا فقد تعرقلت هذه الهجمات داخل « جيوب » الأمر الذى بعث الأسى فى قلوب المسئولين عن القيادات العامة الذين لم يدركوا أهميـة التحرك التكتيكى وتأثيره الممكن · ولعـدم تحقيق عمليـة « الاختراق اقتصرت العمليـات على الاستنزاف(فردان ـ لاسوم) الذى كانوا يتبـاهون بأنه يقضى على احتيـاطى العدو · وصمم « فوش » أخيرا ، مناورة تقضى بتوجيه ضربات متعاقبة سمحت له بتجميع عمل « الجيوب » المتعاقبة ، ولكن هذه الضربات فى معركة فرنسـا كانت تتطلب امكانيات ضخمة · وانحصرت العمليات ـ أو الاستراتيجية كما كان يقال فى ذلك الوقت ـ على ديناميكية كثيفة للقوى · وستبدأ دراستنا لعام ١٩٤٠ على ضوء هذا المبدأ ·

المرحلة الخامسة : المعركة تمهد للعمليات :

عاصرت حملة عام ١٩٤٠ انهيار هذا المـذهب · وقد حقق عامل « التكتيك » الجديد الذى يتكون من الدبابة والطائرة والذى استخدم فى جبهتنـا « الخطية » و « الستاتيكية » حقق فى كل مكان الاخـتراق السريع ، لأن حـركة الهجوم التكتيكية بلغت أخيرا مستوى كافيا بالنسبة لحركة قوات الاحتياط الاستراتيجية · وقد سمح هذا المستوى بالعودة الى « حرب الحركة » · وأعقب مرحلة العمليات الديناميكية القصيرة التى تضمنت تجهيز ودفع قوات « الاختراق » فى المعركة ، مرحلة استغلال المعـركة التى ظهر أنها معركة حاسمة وذلك عن طريق عمليـات التغلغل والالتفاف · ومن غرائب الأمور أن مخطط القرن الثـامن عشر قد قلب رأسا على عقب ، فلقد أصبحت المعركة تسبق وتمهد للعمليات الحاسمة · واكتسب عامل الحركة كل أهميته ·

ولكن بقية الحروب قد صححت بعض الشىء هذا التطور عندما جعل « التكتيك » الدفاعى عملية الاختراق أقل سهولة من ذى قبل · وأصبحت العمليات فى روسيا، كما فى الجبهات الغربية عبارة عن تتابع المعارك واستغلال (مواقف معينة) حيث كانت تسود على التـوالى القوات والحركة ، وربما باستثناء ليبيـا حيث كانت القوات ضئيلة جدا بالنسبة للمكان فيلاحظ عدم حدوث عمليات ذات النمط الحركى

الخـــالص كما كان الشأن فى القرن الثـــامن عشر · وظلت العمليات والمعارك متشابكة ·

وفى الوقت نفسه عاصرت الحرب العالمية الاولى التطبيق الاول لمفهـــوم جديد للعمليات حيث تحقق القوات الجوية النتيجة المرجوة بوساطة عمليات الاستنزاف· وقد تبلور هذا المفهوم فى الوقت نفسه وبطريقـــة مستقلة ، فى بريطانيا العظمى وفى ايطاليا فى العشرينات ، وذلك نتيجة لثبوت عجـــز القوات البرية عن تحقيق الهدف المطلوب وفى الحقيقة فان « تكتيك » العصر وحدود جبال الألب كانت تشل ، بالنسبة « لدوهيه » عمـل القوات البرية · وفى عام ١٩٤١ كانت انجلترا ، فى جزيرتها فى موقف مشابه وحدد سلاح الطيران الملكى البريطانى لنفسه ـ كهدف ـ تحقيق النصر بوسائله الخاصة وحـــدها ، وذلك على الرغم من أن تحقيق هذا الهدف بمعارك برية فى ذلك الوقت ، كما شاهدنا فى عام ١٩٤٠ ، كان سهلا · وبدأت القيادة الجوية التى دعمتها العناصر الامريكية ، فى سحق ألمانيا بوساطة عمليات القذف والغارات · وكانت عمليـــات الاستنزاف رهيبة بهـذه الامكانيات الضخمة ، ولكنها لم تكن حاسمة بمفردها · وقد تقررت النتيجـة كما حدث فى عام ١٩١٨ نتيجة لسلسلة من المعـــارك البرية أو الجوية البرية ساعدتها عمليات الاستنزاف الناجمة عن الحصار وعمليات القذف الجوى ·

المرحلة السادسة : جبهة المعركة فى مستوى منخفض عن مسرح العمليات :

وبعد الحرب ظهر السلاح الذرى الذى نتعرض له فى هذا المقام · ولكن هناك ظاهرة أخرى تثير الانتباه فى الميدان التقليدى البحت ، وهى خفض حجم القوات بدرجة كبيرة بسبب زيادة أسعار المعدات الحـــديثة زيادة باهظة فى الوقت الذى تضخم فيه الانفاق الخاص باستعدادات الحرب النووية ·

ونتيجة لذلك وجدت القوات البرية نفســـها ، بامكانيات أقدر على الحركة من الماضى أمام أمرين : أما الانتشار فى أماكن فسيحة جدا بالنســبة لها أو التمركز (نسبيا) على جبهات أقل اتساعا بقبولها فترات عـــدم قتال أو بانتشارها على شكل أجنحة مكشوفة · ولم تظهر لهذا الاختبار حتى الآن ، فيما يبدو ، الا حلولا غير كاملة · لقد بدا حل الانتشار ـ لعدم وجود امكانيات تكتيكية تسمح بفرض رقابة جيدة بالليل والنهار على جبهات واســـعة بدون دخول قوات هامة ـ أمرا لابد منه ، ولكنه لا يبقى على غير « نقاط » قوة لا تكفى · والحـل الذى يقضى بأن يكون جبهة العمليات فى مستوى أقل من مسرح (القتـال) يعد خطرا بدوره بسبب درجة التحرك الكبيرة السائدة حاليا بوساطة الامكانيات الميكانيكية والمنقولة جوا · ومما لاشك فيه أن حلا وسطا بين هذين الحلين يعد أمرا ضروريا ·

ولكن ما يمكن أن نستخلصه فى النهـــاية من دراسة تطور الماضى هو أن هذا الوضع لابد أن يؤدى (فى الحرب التقليدية غير الذرية) الى استحالة تحقيق أى استقرار للجبهات من الطراز الذى كان ســـائدا فى عام ١٩١٤ـ١٩١٨ وبالتالى عدم استقراراستراتيجى كبير للغاية ـ وتلعب المناورة التى تخدمها وسائل الحركة الحديثة (التى ترجع الى وجود المحـــرك ووسائل الاتصـــال) دورا متزايدا فى الاهمية · ويمكن أن تتحقق النتيجة بسرعة فائقة ·

وأخيرا فان وجود الوسائل الجوية والمنقولة جـــوا يضفى على المعركة البرية

عمقا كبيرا · وهكذا فان المعركة تدور « على السطح » وليس على طول جبهة من الجبهات ·

نتـــائج :

ويسمح التحليل السريع السابق باستخلاص بعض نتائج مفيدة :

(١) تطور جوهر العمليات بين قطبين متباعدين : تغير حجم التحركات والقوات بين هذين القطبين بدرجة كبيرة ·

(٢) خضوع هذا التطور بدرجة كبيرة لتطور العوامل التكتيكية ·

وتتلخص هذه العوامل التكتيكية المرتبطة بالتســـليح والتجهيز وطرق القتـــال فى الآتى :

- القدرة الهجومية ·
- القدرة الدفاعية ·
- التحرك الاستراتيجى (خارج القتال) ·
- التحرك التكتيكى (أثناء القتال) ·

وان التغير النسبى لهذه العوامل الأربعة هو الذى أدى الى تعدد الحلول المنفذة·

(٣) وقد خضع التطور كذلك لحجم القوات مقارنا بساحة مسارح العمليات ·

(٤) عندما لم يكن للعمليات طابع حاسم تحولت الى مفهوم للاستنزاف أدى الى بذل جهود حربية ضخمة وانهاك قوى المتحاربين معا ·

(٥) كانت العمليات ، تبعا للاهمية النسبية للعوامل المذكورة آنفا ، تتسم تارة بالحركة وقلة الفعالية ، وتارة بالحركة والفعالية الكبيرة ، وتارة بالبطء وعـدم الاستقرار بدرجة كبيرة · وحدثت جميـــع هذه التغييرات وكانت بمثـابة مفاجأة لمعاصريها لأن الاعتقاد ساد فى كل عصر بأن خصائص استراتيجية العمليـــات المتبعة ستظل على ما هى عليه فى حين أنها على العكس تغيرت باستمرار ·

وهذه الملاحظة الاخيرة تبرز الاهمية القصوى التى تكمن فى تفهـم استراتيجية العمليات حتى لا يفاجأ المرء بتغيراتها ، وحتى يستطيع اذا أمكن تقديرها تقديرا أكثر صحة من العدو وفى فترة زمنية سابقة عليه ·

العمليات والسلوك الاستراتيجى :

تحدد حركة العمليات الممكنة فى كل مرحلة من مراحل التطور اطار العمليـــة الاستراتيجية فى عصر محدد ويجب على القيادة العسكرية أن تحدد داخل هـذا الاطار نوع المناورة التى تريد هذه القيادة عن طريقهـا تنفيذ المهام التى أسندتها اليها السلطات السياسية ·

وتتوقف هذه المناورة بطبيعة الحـــال على العلاقات القائمة بين المهمة المطلوب انجازها ، قوة العدو ، وقوات الطرف المعنى نفسه ، وأرض المعركة · ويمكن أن تنتهى المهام التى يستند الى القوات المسلحة الى المجموعات اليالية :

- غزو أراض معينة أو منع العدو من دخول حرب معينة كذلك ·

- القضاء على القوات المعادية أو استنزاف قوتها ·

- الاسراع فى العمل أو كسب الوقت ·

وعندما تؤخذ فى الاعتبار الامكانيات المتاحة فى ميادين « التكتيك » والتنفيذ نتيجة لظروف تسليح الساعة فان العمل الذى يجب القيام به يبدو سهلا أو صعبا الى حد ما كما أنه لايملك غير أدوات توجيه محددة · وهكذا فان الاختيار الذى يفرض على القيادة يكون من صميم الاستراتيجية ، والذى رأينا تحليله فى الفصل الاول · ويؤدى هذا الاختيار الى تحديد السلوك الاستراتيجى للحملة ·

لن نعود هنا الى دراسة كل تعقيدات القرار الاستراتيجى التى سبق دراستها غالبا · بل سنقتصر على دراسة موجزة للحلول الرئيسية المستخدمة حتى الآن فى العملية الاستراتيجية ·

(١) عندما توجد امكانيات متفوقة وطاقة هجومية مضمونة بما فيه الكفاية فان الحملة ستهدف هجوميا الى المعركة الحاسمة · ونحن هنا بصدد الاستراتيجية الهجومية ذات المدخل المباشر حيث يجب تركيز وحشد الحد الاقصى من الامكانيات بغرض الهجوم على قوات العدو الرئيسية ·

(٢) عندما يكون التفوق أقل وضوحا وبخاصة عندما تجعل المعطيات «التكتيكية» من الهجوم وسيلة ذات فعالية أقل ، فعندئذ يبرز حلان :

- سواء استنزاف قوى العدو بوساطة تكتيك دفاعى يستغل هجوما مضادا · وهذه هى الاستراتيجية المباشرة الدفاعية الهجومية ·

- أو خداع العدو بوساطة عمل هجومى يتم بعيدا عن المركز قبل محاولة الدخول فى قتال معه · وهذه هى الاستراتيجية المباشرة ذات المدخل غير المباشر ·

(٣) عندما تكون الامكانيات العسكرية غير كافية لتحقيق النتيجة المرجوة فان العمل العسكرى لا يلعب غير دور ثانوى داخل اطار مناورة من مناورات الاستراتيجية الشاملة ذات النموذج غير المباشر حيث تتمخض النتيجة عن أعمال سياسية واقتصادية أو ديبلوماسية متداخلة بطريقة جيدة ·

ويمكن للقوات العسكرية فى هذه العملية العسكرية المساعدة القيام حسب الاحوال بعمليات محدودة تمثل امتحانا قويا موضعيا ، أو العمل على استنزاف قوى العدو عن طريق حرب العصابات أو حتى المساهمة فى تحقيق النتيجة بمجرد التهديد ·

العمليات والمبارزة (الشيش) الاستراتيجية :

بعد تحديد السلوك الاستراتيجى فانه يبقى تنفيذ الخطة بطريقة تضمن نجاحها · ولما كان العدو يرغب بدوره فى تنفيذ خطته فسوف تنجم عن ذلك معارضة «دياليتيكية» لأن كلا من الطرفين يحاول فرض ارادته · وقد رأينا فيما سبق (١) المفاهيم النظرية التى تنطبق على هذه المبارزة · ولكن تطبيق هذه المفاهيم سوف يتغير فى كل عصر وستتخذ المبارزة الاستراتيجية مظاهر مختلفة للغاية حتى أنه يصبح من الصعب التعرف عليها ·

فتبعا للعصور ستشبه المبارزة فى الحقيقة المبارزة الحامية بسيوف خفيفة أو

المبارزة بسيوف ثقيلة جدا أو مبارزة بهراوات ضخمة مستحيلة التحريك ، أو نضالا بالأيدى المجردة · وهناك ما هو أكثر من ذلك فكثيرا ماتكون المبارزة غير متكافئة كما فى معارك مصارعى روما القدماء والتى يستخدم فيها السيف الخفيف (المسمى نابليون) ضد السيف الثقيل للغاية المسمى (ماك) أو الرجل صاحب الايدى المجردة (شعوب المستعمرات) الذى يواجه رجلا مسلحا بخنجر (الحروب الاستعمارية) · وكما يحدث فى أفلام السينما ذات السرعة المتغيرة فان المتحاربين يبدوان تارة وهما يقفزان وتارة وهما يتقابلان ببطء كبير · وتنتج كل من هذه المميزات الجديدة مباشرة من امكانيات العمليات والامدادات والتموين فى العصر موضوع البحث والمستخدمة برمتها ، بدرجة أو بأخرى بوساطة القادة المتخاصمين ·

وقد شرح الجنرال «حاملان» فى مقدمة كتبها عام ١٩٣٤ تقريبا أنه بين الخطة رقم ١٧ لعام ١٩١٤ التى كانت تقضى بشن هجوم صوب منطقة « أردين » وبين نهاية معركة فرنسا لعام ١٩١٨ ، كان هناك تطابق كامل للمفاهيم ، ولكنه ظهر بين الاثنين تكييف للوسائل المتبعة لغايات الاستراتيجية ، فلقد ملكت الاستراتيجية أخيرا الوسائل التى تجعل مناورتها أمرا ممكنا · وهذه النظرة التى لا تستند الا الى تشابه جغرافى تبرز كل الخطأ الذى يتلخص فى الخلط بين عمليتين عسكريتين تتشابهان ظاهريا وتدوران على الارض نفسها ولكن فى لحظات مختلفة من التطور وفى ظل ظروف مختلفة · لقد كانت الضربة الهجومية فى اتجاه « أردين » عام١٩١٤ ضربا من الجنون لأن :

(أ) ـ الطاقة الهجومية الضعيفة فى ذلك الوقت كانت تقضى على العملية بالفشل·
(ب) ـ أرض المعركة كانت غير مواتية ·
(ج) ـ التقدم صوب الوسط (المركز) مع وجود جناح ألمانى بمبنى غير مراقب كان يعرض للوقوع ضحية الالتفاف أو المحاصرة ·

وقلب الوضع فى عام ١٩١٨ اثنان من هذه العوامل الثلاثة : لقد ظلت أرض المعركة غير مواتية ولكن :

(أ) ـ أصبحت الطاقة الهجومية فائقة القوة ·
(ب) ـ تم «تثبيت» العدو فى كل مكان واستنزفت قوة احتياطية ، وهكذا فان التقدم صوب الوسط (المركز) كان من شأنه محاصرة كل الجناح اليمينى الالمانى· هذا بالاضافة الى أن المقارنة بين عام ١٩١٤ وعام ١٩١٨ تبرز سرعة الحركة الكبيرة للقوات فى عام ١٩١٤ · وبطئها الشديد فى عام ١٩١٨ · وهذا يعنى أن قواعد المبارزة الاستراتيجية قد تغيرت تماما خلال فترة السنوات الاربع · وحدثت تغييرات أكثر عمقا بين عام ١٩١٨ وعام ١٩٤٠ وحتى بن عام ١٩٤٠ ، وعام ١٩٤٥ ·

تبين هذه الملاحظات كلها الصعوبة الرئيسية للفن العسكرى ، وتغير هذا الفن · لقد كان كل شىء فى الماضى يتم التفكير فيه ويشرح عند الحاجة بوساطة عامل هام من عوامل الصدفة · أما بالنسبة للحاضر والمستقبل حيث يظهر بالضرورة المفهوم الاستراتيجى ، فيجب فى الوقت نفسه الاستناد الى التجربة الماضية و « اختراع » تكييف هذه التجربة مع الوسائل الجديدة · ان كل جدة تتضمن مخاطرة كبرى ولكن كل روتين مصيره الفشل مقدما ·

يجب البحث فى هذا الميدان القاسى الخاص بالظروف وتغيرها عن مفتاح التفكير فى تغيرات استراتيجية العمليات (العسكرية) ·

الفصل الثالث

الاستراتيجية الذرية

أحدثت الاستراتيجية الذرية ـ أو بالاحرى تطبيق نتائج السلاح الذرى بوساطة الاستراتيجية ـ تغييرات هامة فى مفهوم استخدام القوات العسكرية من أجل الحرب أو من أجل صيانة السلام · ومن المفيد أن نبين الطريقة التى نجمت بوساطتها التغيرات وهكذا يمكننا قياس هذه التغيرات بطريقة أفضل وربما يكون فى مقدورنا التكهن بالغايات الممكنة للتطور الجارى حاليا ·

أهمية وحدة السلاح الذرى :

ان السلاح الذرى الذى تخدمه وسائل « التوريدات » الجديدة ليس ، كما قيل خطأ فى بعض الاحيان ، « الا سلاحا مثل غيره من الاسلحة ، ولكن أكثر قوة» · فهو بقوته ، أولا لا يمكن مقارنته بكل ماعرفنا من أسلحة حتى الآن · فالقنبلة الذرية المتوسطة (٢٠كت) تنتج قوة متفجرة تساوى قوة ٤ ملايين مدفع عيار٧٥ ·

والقنبلة الهيدروجينية المتوسطة (١مت) تساوى قوة قذف ٢٠٠ مليون مدفع٧٥(١) وهذه القوة الضخمة التى تتضاعف فاعليتها نتيجة الغبار الذرى(٢) يمكن اطلاقها وتوجيهها بوساطة حفنة من الرجال فقط · ويعد ذلك بمثابة ثورة ضخمة ·

ولما كان مدى ناقلات الشحنات الذرية يمكن أن تصل الى نصف الدائرة الارضية فان هذا السلاح فى مقدوره بلوغ أى هدف على الكرة الارضية بدقة متناهية · اننا لم نبلغ حتى الآن الا مدى ربع الدائرة الارضية الامر الذى يعنى أن سلاحا واحدا يمكن أن يهدد نصف الكرة الارضية الذى يوجد هذا السلاح فى مركزها ·

ونتيجة لهاتين الصفتين (القوة والمدى) فان السلاح الذرى ينتج ظاهرة جديدة تماما فلم تعد هناك علاقة بين القوة والحجم · لقد كان من اللازم ، حتى أمس ، أن تكون هناك ألف طائرة لتدمير مدينة «هامبورج» وجميع مدافع جيش بأكمله لهدم برلين ، أما اليوم فيمكن اتمام عمليات الهدم هذه بوساطة مهمة فردية واحدة ·

ومن ناحية أخرى فان قوة ضرب النار الخارقة هذه تتمتع بعامل حركة يكاد يكون تاما ، الامر الذى يتناقض مع بطء مجموعات القوات المسلحة ويسمح ببلوغ أية نقطة من أراضى العدو · وهكذا فان الدفاع عن الحدود بوساطة الحائط البشرى الذى يتكون من الجيوش أصبح قاصرا عن حماية البلاد من التدمير المادى أو العدوى

---

(١) هذا بالاضافة الى أن منطقة الاحتراق فى الانفجارات البالغة الارتفاع يمكن أن تشمل عشرات الآلاف من الكيلو مترات المربعة ·

(٢) يتسبب هذا الغبار فى حالة الانفجارات المنخفضة فى ايجاد مناطق عدوى يمكن أن تمتد الى عشرات الآلاف من الكيلو مترات المربعة ·

الذرية . وهكذا تبدو القوات العسكرية التقليدية عديمة الجدوى تماما ، على الاقل عند مستوى النظرة الاولى للأمور .

شروط وخصائص الاستراتيجية :

يبدو أنه لا يوجد للحماية من هذا الخطر الذى لم يسبق له مثيل سوى أربعة أنواع من الحماية الممكنة :

- التدمير الوقائى لاسلحة العدو (وسيلة هجومية مباشرة) .
- اعتراض الاسلحة الذرية (وسيلة دفاعية) .
- الحماية المادية من آثار الانفجارات (وسيلة دفاعية) .
- التهديد بشن عمليات انتقامية (وسيلة هجومية غير مباشرة) .

وقد استغلت هذه الوسائل الاربع معا وبدرجات متفاوتة من الفعالية وانتهى بها الامر الى الالتحام فى صيغ استراتيجية معقدة للغاية .

(١) التدمير الوقائى : لقد بدأ التدمير الوقائى ، ان لم يكن للاسلحة الذرية التى يصعب تحديد مواقعها ، فعلى الاقل لوسائل الانتاج والاطلاق خير صيغة فى بداية الامر ـ وكان التفوق الامريكى ساحقا كما أن وسائل الاطلاق التى يملكها العدو والتى تتكون من الطائرات المرتبطة بقواعد جوية من الممكن تحديد مواقعها بسهولة كبيرة كانت تسمح بتوقع تدمير جميع امكانيات العدو تقريبا . وتبلور « تكتيك » للتدمير يرتكز على خطة جيدة للسلاح الذرى ويقضى بمهاجمة كل هدف من الاهداف المعروفة .

ولكن هذا الوضع الممتاز لم يدم الا لفترة قصيرة جدا ، فلقد تعددت الاهداف نتيجة لزيادة امكانيات العدو « ولتكتيك » التشتيت الذى اتبعه وطوره . وعلاوة على ذلك فانه لم يكن من الممكن معرفة عدد من الاهداف مقدما بسبب اجراءات التشتيت التى تتخذ عند اعلان بدء الغارة على أراض مجهزة تجهيزا متواضعا غير معروفة تماما أو غير معروفة على الاطلاق . ومن ناحية أخرى فان السياسة السلمية التى أعلنتها منظمة حلف الاطلنطى جعلت من الصعب اتخاذ مبادرة شن عمليات القذف الجوى وهكذا فان مثل هذه العمليات كان لايمكن أن تقرر الا بمثابة « رد » على عدوان وكان يجب التعرض لهجوم العدو الاول . وقد جردذلك، بتدمير امكانيات العدو من طابعه الوقائى الامر الذى أضفى أهمية كبرى علىأنواع الحماية الاخرى ـ الاعتراض الحماية المادية من آثار الانفجارات ، التهديد بشن عمليات انتقامية ـ التى سندرسها فيما بعد .

وأدت دراسة مشكلة تدمير القوات ، فى الوقت نفسه ، الى الاعتراف بالاهمية الكبرى للهجوم المفاجىء : فابتداء من مستوى معين من الامكانيات يمكن لمثل هذا المفهوم من جانب العدو أن يصيبنا بعمليات تدميرية على درجة من الخطورة تجعل ردنا أمرامشكوكا فيه . لقد استولت مشكلة ميناء « بيرل هاربر » الذرية على عقول القيادات العامة خلال سنوات طويلة وأدت الى بناء «تكتيك» « يقضى على المفاجأة » الذى سوف نراه بصدد أنواع أخرى من الحماية والذى أصبح ذا فعالية كبيرة جدا .

أما بالنسبة لاهمية الرد فكان من الضرورى أن تظل ذات فعالية كافية حتى تقضى اذا أمكن أو على الاقل ، حتى تنقص بدرجة محسوسة مقدرة العدو التدميرية · ولكن زيادة وسائل الاطلاق ، وظهور الصواريخ قد زاد بدرجة كبيرة من صعوبة المشكلة ، بل هناك مدرسة برمتها تدعى أن «تكتيك» « مقاومة القوى»(١) مصيره الفشل · والحقيقة أنه قد أصبح من المستحيل تدمير كل شيء ، ولكن من الخطر الشديد من ناحية أخرى ، ترك جزء هام من قوات العدو (بدون تدمير) · ويجب على أقل تقدير تدمير الامكانيات الضعيفة جدا مثل الطائرات القديمة وأجهزة الرادار التى تمثل جزءا هاما من امكانيات العدو · على الرغم من التأكد اليوم بأن تكتيك «مقاومة القوى» ليست له غير فعالية جزئية فان تطبيقه لازال يعتبر من الامور الضرورية الامر الذى يؤدى الى زيادة وسائل الاطلاق · ولما كان العدد الاكبر من الاهداف من ناحية أخرى يقع فى الدول التابعة حيث يراد قصر عمليات التدمير على المنشآت العسكرية ، فان « تكتيك التدمير » يجب أن يكون دقيقا للغاية وأن يمتنع عن استخدام الانفجارات ذات القوة الكبيرة جدا · ويؤدى ذلك كله الى عمل برامج باهظة التكاليف ·

ولهذا فان البعض تقدم فى نهاية المطاف بفكرة القيام بعمل وقائى حقيقى يكون ناتجه أكثر أهمية وذلك نتيجة لعدم اصابة الطرف المعنى بخسائر ضربة العدو الاولى ، ولان الذى لم ينذر بعد والمشتتة قواته لابد أن يتحمل تدميرا أكبر ، وقد أطلق على هذه العملية الوقائية للتوفيق ـ بطريقة مقذعة الى حد ما ـ بين مفهوم هذه العملية وبين المفهوم السياسى بالعدول عن العدوان ، اسم العملية « المعلقة » لابراز أنها لن تشن الا اذا سمحت مؤشرات أكيدة بالتكهن بقرب حدوث الهجوم المعادى ·

وعلى أية حال فان الحماية الكاملة بوساطة التدمير الوقائى لامكانيات العدو يبدو مشكوكا فيها للغاية(٢) وأن عملها ضرورى فى خلال النزاع ولكن بنتائج جزئية فقط ·

وهكذا فان استخدام وسائل الحماية الاخرى يعد ضروريا ·

(٢) ظهر بسرعة أن اعتراض الاسلحة الذرية يمكن أن يكون العنصر الرئيسى للاستراتيجية الجديدة فاذا أصبحت قيمة « الاعتراض » مطلقة من جانبنا فلن نكون فى حاجة الى عمل وقائى ـ شديد الخطر سياسيا ـ · ولا الى حماية مادية ، كما سيفقد تهديد العدو بشن عمليات انتقامية كل أهميته ·

ولكن من الصعب جدا فنيا تحقيق هذا الهدف المثالى والابقاء عليه · ففى السباق التكنولوجى الهائل القائم بين « الاعتراض » والتوغل نجد أنه مقابل كل

---

(١) يطلق عليه عادة استراضيجية « مقاومة القوى » ولكنه فى الواقع نمط من أنماط تطبيق الاستراتيجية ، أى ضرب من ضروب « التكتيك » ·

(٢) ان هذه النتيجة الضرورية (خاصة مع تطور نشاط الغواصات مثلا) لا تعارض النظرية الامريكية الحديثة التى تفضل الاعلان عن تكتيك مقاومة القوى عن الاعلان عن تكتيك تدمير المدن · وسوف نعود الى هذه النقطة عند الحديث عن الردع ·

تقدم يحرزه الاعتراض يقابله تقدم جديد فى ميدان التوغل · وهكذا يتبلور فى وقت السلام شكل جديد من الاستراتيجية ، ظهر بالكاد فى النزاعات السابقة فيما أسمى « بسباق التسلح » ·

ولا تشن هذه الاستراتيجية المعارك بل تحاول سبق انجازات العدو المادية وقد أطلق عليها الاستراتيجية « الرياضية » أو الاستراتيية « النفسية » وتكتيكها صناعى ، تكنيكى ومالى · وهى تمثل شكلا من الاستنزاف غير المباشر الذى بدل أن يدمر امكانيات العدو يكتفى بسبقها (وبالتالى جعلها ضئيلة القيمة) الامر الذى يؤدى الى عمليات انفاق باهظة · وهكذا سمحت أجهزة رادار معركة بريطانيا باحراز أول نصر جوى دفاعى فى التاريخ · ولكن الطائرات التى تحلق على ارتفاع شاهق قد قللت من مفعول جميع أجهزة الرادار والمدافع المضادة للطائرات · ثم قللت الصواريخ من الارض الى الارض التى لايمكن اعتراضها من مفعول الطائرات المرتبطة بقواعد ثابتة يمكن اصابتها فى حين جعلت الصواريخ من الارض الى الجو اعتراضها أمرا محتملا جدا ·

ولكن الصواريخ من الجو الى الارض تسمح للطائرات باصابة أهدافها مع بقائها بعيدا عن متناول الصواريخ من الارض الى الجو التابعة للدفاع الجوى ، وأصبح اعتراض الصواريخ من الارض الى الارض أمرا ممكنا الآن ··· الخ ·

وهكذا تدور حرب صامتة وسلمية ظاهريا ، ولكن من الممكن أن تصبح حاسمة فى حد ذاتها · ولكن السباق لاينتهى أبدا ، ويظل الاعتراض بحسناته وسيئاته مشكوكا فى فعاليته ·

(٣) هل يمكن ـ اذن ـ الحد من آثار الاسلحة الذرية بطريقة مرضية عن طريق الحماية المادية ؟

قبل ظهور السلاح الهيدروجينى ظهرت حلول ممكنة : المخابىء (تحت الارض) التشتيت ، التحرك ، الحماية بوساطة مبان من الاسمنت المسلح ··· الخ · ولكن أيا من هذه الحلول لايعطى حماية مطلقة ، ولكن ناتج عمليات القذف يمكن خفضه كثيرا (٢٥ مرة فى أحسن الحالات) · واحتفظت الحماية بظهور الاسلحة الهيدروجينية بقيمتها النسبية ولكن قوة الهجوم تزداد بدرجة أنه من الصعب أن يأمل المرء فى تحقيق حماية ذات فعالية كافية · ومن ناحية أخرى يجب لتحقيق ذلك تكريس مبالغ طائلة ، ولهذا فان الكثيرين يرون ضرورة بذل جميع الجهود على الوسائل الهجومية وعلى قدرتها على التوغل فى أراضى العدو ·

(٤) وفى الحقيقة فانه لاتوجد فيما وراء جميع هذه الوسائل الدفاعية ذات القيمة المتغيرة وغير الاكيدة حماية حقيقية الا فى التهديد بشن عمليات انتقامية · ولذلك فانه يجب امتلاك قوة ضاربة(١) ذات درجة كافية لتحول دون استخدام العدو لقواته · وهذه هى استراتيجية الردع بصورتها الاصلية البسيطة : محاولة شل ارادة العدو مباشرة دون المرور بامتحان قوى · وسنرى تطور الاستراتيجية أكثر تعقيدا وأكثر حنكة ابتداء من هذه الفكرة العامة ·

---

(١) ترجمة حرفية للغاية للتعبير الانجليزى « القوة الضاربة » · وفى الحقيقة ان الصيغة المناسبة كان يجب أن تكون « القوة الهجومية » أو « قوة الهجوم » ·

استراتيجية الردع :

(أ) الردع النووى :

يرتكز الردع أولا على عامل مادى ، فيجب امتلاك قوة تدميرية كبرى ، ودقة كبيرة ومقدرة توغل جيدة · ولقد رأينا بصدد الاعتراض أهمية ذلك النضال المستمر للحفاظ على مقدرة توغل كافية · وبما أن الحرب لا تشن فان القيمة الصحيحة لطاقات الاعتراض والتوغل تظل افتراضية وكذلك قوة العدو التدميرية· وندرك فى هذا المقام بدرجة أكبر أهمية طائرة « يو-٢ » الذى كان طيرانها يسمح بتقدير قدرة اعتراض العدو ، وحنق السوفيت عندما شاهدوا المنافس وهو يمارس مثل هذه التجارب ·

وتزداد درجة تعقيد هذا العامل المادى غير المضمون الى حد كبير اذا أدخلنا فى اعتبارنا الافتراضات الخاصة بمن من الطرفين سيبدأ باطلاق النار · ولم يكن لهذا التقدير أهمية كبرى فى عصر الطائرات البطيئة نسبيا لان فترات الانذار كانت تجعل عمليات الهجوم والرد على الهجوم تتقابل فى الجو· ولن يكون هناك ردع على العكس ، مع الصواريخ اذا كان لضربة العدو الاولى مقدرة تدميرية من شأنها أن تضعف ردنا بدرجة كبيرة وهكذا فان قيمة الردع قد أصبحت مرتبطة لا بأهمية « القوة الضاربة » بل بأهميتها المتبقية بعد خضوعها لضربة العدو الاولى ، أى على مقدرتها على الاستمرار فى البقاء ، ومن هنا ظهر تكتيك فى الاستمرار فى البقاء الباهظ التكاليف والمعقد للغاية والذى يهدف الى تحقيق انذار شبه وقتى (أجهزة رادار كبرى) ، أقمار صناعية ، ارسال أوتوماتيكى ، حاسبات الكترونية ··· الخ ، وتنفيذ مهام وعمليات قذف قبل وصول ضربة العدو الاولى (طائرات تظل فى حالة تحليق أو فى حالة تأهب لمدة ١٥ دقيقة ، وصواريخ ذات قوة دفع صلبة ··· الخ) وحماية من أجهزة القذف بوساطة الحركة (الغواصات الذرية) والاسمنت المسلح وذلك لاجبار العدو على استخدام عدد كبير جدا من الاسلحة ضد كل هدف أو بوساطة التشتيت · وتتوقف نتائج المعادلة التى تعطى النتائج المتولدة من ضربة العدو الاولى ومن عملية الرد ، على القيمة النسبية « لتكتيكات »الاعتراض ، استمرار البقاء التى يتبعها كل طرف من الاطراف المعنية ، بل وكذلك أيضا على الفعالية التقديرية « لتكتيكات » الاعتراض وكذلك على تقدير درجة دقة القذف وهكذا تصبح هذه النتائج افتراضية أو تقديرية أكثر فأكثر ·

ولكن ما سبق كله يكاد يكون له طابع هندسى بالنسبة للعامل السيكولوجى الاكثر غموضا والاكثر أهمية · ان الهدف هو التأثير على العدو الى الدرجة التى تمنعه من استخدام « القوة الضاربة » التى يملكها · لهذا يجب ، أولا ، امتلاك قدرة تدميرية تجعله يخشاها بدرجة كافية ثم جعله يعتقد أن فى مقدورنا شن عملية انتقامية ــ سواء للرد أم كمبادأة ــ تبعا لهذا الافتراض أو ذاك ·

وقد أثار مفهوم القدرة التدميرية الكافية من وجهة النظر السيكولوجية الكثير من الاحكام · فالبعض يعتقد استنادا منهم الى سابقة « هيروشيما » و «ناجازاكى» أن تدمير بعض المدن الكبيرة يكفى لاستسلام دول حديثة · ويذهب البعض الآخر الى ما هو أبعد من ذلك بحسابهم جانب القوة الاقتصادية المعادية الذى يجب تدميره « لجرح العدو بعمق » واصابته بخسائر فى قوته تشكل عقبة دائمة وغير مقبولة من جانبه ويعتبر بعض أصحاب النظريات الامريكيين ، أخيرا ، أن التدمير الوحيد الفعال هو تدمير أسلحة العدو النووية لانه يجرد العدو من سلاحه ويجعله لا حول

له ولا قوة · وهكذا فان الطاقة التدميرية يجب ـ اذن ـ أن تسمح « ببطارية مضادة » متطورة للغاية يضاف الى نتائجها استنزاف لمخزون العدو الناجم عن هجومه ضد وسائل اطلاقنا وتتحدد الخطوط العريضة لوجهات النظر هذه فى نوعى « التكتيك » المتعارضين « التكتيك الموجه ضد القوات ، وذلك الموجه ضد المدن »· والاختيار بين هذين الحلين أمر يتسم بالصعوبة : فلقد رأينا أن « التكتيك » الموجه ضد القوات يمكن أن يكون فعالا جدا اذا أمكن التأكد من تنفيذه بالكامل · ولكن الى جانب كونه باهظ التكاليف فانه يصبح غير مضمون أكثر فأكثر مع تطور «تكتيك» الحماية ولهذا فهناك اغراء كبير لاستخدام التكتيك « الموجه ضد المدن » الذى هو أسهل بدرجة كبيرة وبالتالى أقل تكاليف فى التنفيذ والذى أطلق عليه « استراتيجية التدمير الادنى » · ولكننا سندرك عندئذ أننا اذا لم نكن قد قمنا بالهجوم وبالتالى بتدمير جوهر قوة العدو الضاربة فاننا سنخضع لعقاب رهيب مقابل كل عملية تدميرية نقوم بها · وسنصل بعد الضربات المتبادلة الى تدمير متبادل شامل وربما غير متكافىء فى غير صالحنا ، الامر الذى ليس له معنى على الاطلاق والذى من شأنه أن يردعنا بنفس درجة العدو · وبالاضافة الى ذلك فليس هناك بالضرورة تناسق فى ميدان الردع · فالولايات المتحدة الامريكية ستكون أكثر تأثرا لتدمير مدنها الكبرى ، من الاتحاد السوفيتى· وقد يكون ذلك هو التفسير للتفضل الامريكى للتكتيك « الموجه ضد القوات » وللاختيار الممكن للسوفيت للتكتيك الموجه ضد المدن(١) وقد يكشف الاختيار كذلك القناع عن أفكار كامنة هامة جدا : فمن يتبع التكتيك « الموجه ضد المدن » يؤمن بالقيمة المطلقة للردع الذى يقوم به والا فانه فى حالة وقوع نزاع فلن تكون له حيلة أخرى غير الانتحار المتبادل · أما ذلك الذى يتبع « التكتيك الموجه ضد القوات فانه يشك فى تأثير الردع ويقبل امكانية اندلاع حرب ذرية تتضمن الاستخدام الكامل الى درجة ما للقوات الضاربة الاستراتيجية الامر الذى يزيد من مقدرته فى الردع ·

ومهما كان من أمر فان الاختيار يفرض فرضا على الدول النووية الثانوية (بريطانيا) العظمى ، فرنسا (والصين غدا) التى لا يمكنها بأية حال من الاحوال امتلاك الوسائل الضرورية لانتهاج « التكتيك الموجه ضد القوات » ولكن الى أية درجة يمكن لمثل هذا التكتيك الموجه ضد المدن والمحدود بالضرورة ، أن يردع ، وبالتالى يجمد نشاط احدى الدولتين الكبيرتين ؟ ولما كانت الطاقات التدميرية غير متساوية الى درجة كبيرة فانه لايمكن اعادة التوازن الا عن طريق شكل آخر من أشكال الاقناع : الخوف من أن يشن الجانب الاضعف ، على الرغم من كل شىء ، عملياته الانتقامية والخطوة الاولى لهذه العملية تتلخص فى اعطاء أساس منطقى لشن هذه العملية يضفى عليها مظهر الحقيقة وهذا ما أطلق عليه « الامر الذى يمكن تصديقه » ، وينجم عن ذلك ليس فقط عن قيمة المعادلة المادية التى سبقت الاشارة اليها والتى أعلن عن طابعها الموضوعى بل كذلك عن المقارنة بين المخاطرة

---

(١) ان العدد المقدر للصواريخ السوفيتية ـ الضعيف نسبيا ـ يمكن أن يشير الى اختيار التكتيك الموجه ضد المدن » والى وجود صعاب لم تسمح بعد بتنفيذ برامج التكتيك الموجه ضد القوات الذى يتمشى مع النظريات السوفيتية التى نشرت بالفعل وقد يكون أحد أهداف المحاولة التى جرت فى كوبا ١٩٦٢ الاسراع فى تنفيذ الطاقة اللازمة للتكتيك الموجه ضد القوات ·

وموضوع النزاع · فالسويد المدافعة عن حريتها ستجد نفسها أمام خطر شامل فى حين أن الاتحاد السوفيتى على سبيل المثال لن يستخلص من غزوه غير فائدة محدودة ويمكن أن يفهم انتحار السويد كسلوك قبطان سفينة يفضل تفجير برميل بارود على أن يسلم نفسه القراصنة · أما الخسائر التى يمكن أن تلحق عندئذ بالاتحاد السوفيتى فستكون غير متكافئة تماما مع المكاسب الممكن تحقيقها · ويوجد هنا الأساس المنطقى لطاقات الردع الوطنية الصغيرة · يجب أن نضيف أن هذه «اللعبة» الخطرة للغاية تفترض وجود بعض الثقة فى الردع ··· فاذا اقتنع العدو بأننا قررنا أن من مصلحتنا فى حالة معينة استخدام قواتنا فانه سيصدق ، بسهولة أكثر ، تهديدنا · ويجب أن نلاحظ فى الحال أن اللعبة مزدوجة وأن امكانيات التصديق المتعارضة بالنسبة لموضوع متشابه قد يبطل احداها الاخرى وعندئذ تحدث خطوة أخرى فى خطوات الاقناع ترتكز فى هذه المرة على ماهو غير منطقى فاذا كان الامر يعنى شخصا معتوها فلا يجب دفعه بعيدا داخل تحصيناته فحزم دالاس وغضب وحذاء خروشوف وعناد ديجول ··· كل ذلك يتفق مع هذه «اللعبة» السيكولوجية التى يمكن أن يتخطى نفوذها جميع التقديرات النابعة من العامل المادى ، فالعامل الحاسم فى الحقيقة يستند الى ادارة شن الحرب · والايهام بأننا نملك هذه الارادة أهم من أى شىء آخر والكل بطبيعة الحال يلجأ للخداع ولكن لأى حد ؟

ويؤدى ذلك كله الى « دياليكتيكية » حاذقة للغاية تهدف الى تقدير احتمال ردود فعل العدو بالقياس الى امكانياته وبرغبته فى استخدامها ، ولكن بالقياس كذلك الى رأيه فى امكانياتنا وبمدى رغبتنا فى استخدامها ، بل وبالقياس للفكرة التى رسمها لنفسه عن الفكرة التى رسمناها لأنفسنا عن امكانياته ومدى رغبته فى فى استخدامها ·

ومن هذا الجبل الضخم من التقديرات الافتراضية والاحكام المبنية على الاحساسات الوجدانية المعقدة يظهر عامل واحد أكيد : الشك · وفى النهاية فان الشك هو الذى يشكل العامل الرئيسى للردع · ولهذا يجب أن يكون موضع تكتيك خاص يكون هدفه زيادة حدته (الشك) أو على الاقل الابقاء عليه كما هو · ويجب أن ينجم عن الاجراءات المادية التى تتخذ عدة امكانيات كما يجب أن يعرف العدو هذه الامكانيات · كما يجب اضفاء الشكوك على جميع العناصر التى تسمح بتقدير وتحديد نوايانا الحقيقية · ويجب بطبيعة الحال تفادى أى عمل أو أى تصريح يمكن أن يقضى على أحد الاحتمالات التى يخشاها العدو · وهكذا على سبيل المثال فان الحملات التى تشن للعدول عن السلاح الذرى « التكتيكى » تناقض تماما المخطط المعرف لاستراتيجية الردع · ونجد الشىء نفسه بالنسبة للتصريحات الامريكية الخاصة « بفجوة الصواريخ » والاقلاع عن استراتيجية الرد الشامل ·

(ب) عمليات الردع الاضافية :

ومهما كان الامر فان الامكانيات المتاحة والتى يزيد عامل الشك من أهميتها تمثل درجة معينة من الردع · ولن تكون هذه الدرجة المعينة المطلقة الا نادرا طالما أن المعسكرين يملكان الاسلحة النووية · وهذا يعنى — اذن — وجود هامش لعدم الردع وبالتالى درجة معينة لحرية العمل لكل طرف من الاطراف المعادية تقع ضمن مجموعة العمليات الصغيرة البعيدة عن المركز أو حتى المحدودة والتى يظهر هدفها

ضئيلا لدرجة لا تبرر التهديد بشن عمليات انتقامية · وتؤدى نتيجة هذا الوضع (وهى نتيجة افتراضية كغيرها من أشياء كثيرة ، وهو أمر يجب أن نسجله فى سياق عرضنا) الى ايجاد ميدان جديد لاستراتيجية الردع والتى سيكون هدفها اكمال أثر ردع التهديد النووى بوسائل أخرى حتى يمكن ضغط ـ أو القضاء اذا أمكن ـ كل هامش لحرية العمل بالنسبة للعدو ·

وهناك وسيلتان لتحقيق نتيجة الردع هذه · الوسيلة الاولى مادية وتتلخص فى أن يفرض على العدو نظام للقوات العسكرية قادر على أن يجعل العمليات تفشل والتى يمكن أن يقوم بها بفضل هامش حرية العمل المفروض أنه يملكه · وهذا هو سبب وجود « دروع » القوات « التكتيكية » الجوية البرية أو الجوية البحرية التى تدافع عن المناطق الحساسة · وهذا كذلك هو سبب وجود « قوات التدخل » القادرة على الانتقال الى المناطق المهددة · وتتبع هذه الامكانيات المادية الاختيار الشهير : كل شىء أو لا شىء أى شن حرب الابادة المتبادلة أو قبول الامر الواقع· أما الوسيلة الثانية ذات الطابع السيكولوجى فتتلخص فى خلق واستمرار مخاطرة شن عمليات انتقامية اذا نشب نزاع اقليمى · ويخلق هذا التصعيد الى أقصى المستويات درجة معينة من الشك بالنسبة لأهمية أهداف (المعركة) حتى اذا ظهرت فى البداية كأهداف محددة · ووجود الاسلحة الذرية التكتيكية من وجهة النظر هذه مع مخاطر التصعيد التى يمكن أن تنجم عن استراتيجية استخدامها يلعب دورا هاما للغاية فى ميدان الردع · ويبدو احتمال التصعيد هذا للكثيرين بمثابة الخطر · وهو فى الواقع كذلك اذ لم يلعب الردع دوره ونجده ، على العكس ، عاملا من عوامل الامن الاضافى فى استراتيجية الردع · ويجب ألا نبعد هذا الجانب عن أنظارنا ·

وتصبح استراتيجية الردع هذه هامة أكثر فأكثر عندما تلغى تهديدات العمليات الانتقامية بعضها البعض بدرجة أكبر · وفى ظل هذا الوضع يصبح شن العمليات الانتقامية شيئا أقل تصديقا وبالتالى كذلك ، تهديد التصاعد · ويبدو أن استراتيجية الردع بجميع بنود انفاقها تؤدى الى طريق مسدود ، وهكذا يميل الاتجاه الى العودة الى استراتيجية غير ذرية حتى أنه يجب أن يضاف الى الانفاق الذرى ـ الباهظ ـ الانفاق الخاص بالاسلحة التقليدية كما لو أن السلاح الذرى لا وجود له · وهذا هو الاتجاه الذى نراه يتطور فى الوقت الحالى منذ أن تمتعت « القوات الضاربة » أو فى سبيل التمتع بقدرة جيدة على البقاء ·

ولكن هذا لا يعنى العودة تماما الى نقطة البداية أى الى وضع مشابه لذلك الذى كان سائدا قبل وجود الاسلحة الذرية وأن وجود الاسلحة الذرية يبقى فى الواقع على مخاطرة يتوقف الحكم عليها أساسا على عوامل الشك وعدم الخضوع للمنطق التى أشرنا اليها فيما سبق · وطالما ظلت هذه العوامل ذات أهمية غير ضئيلة فلا يمكن ، على سبيل المثال تخيل شن حرب تقليدية كبيرة من جديد ، على غرار حرب ١٩٣٩/١٩٤٥ لانه من المستحيل التأكد من أنه فى مثل هذه الحالة لن يحدث التصعيد الى أقصى المستويات · ولهذا فمن الممكن تحقيق درجة مرتفعة من الردع التقليدى ، بامكانيات تقليدية محدودة فحجم القوات ـ ودرجة المخاطر ـ التى يجب استخدامها للقضاء على هذه الامكانيات من شأنه أن يخلق وضعا بالغ الخطورة حتى أنه لا يمكن التفاخر بأنه لن يؤدى الى تصاعد الموقف· وهكذا فانه يمكن أن يتحقق ردع شبه مطلق : فالقوات الضاربة المتعادلة تمنع

من نشوب نزاع نووى شامل ، والقوات التقليدية تمنع من نشوب نزاع محدود وخطر التصاعد القائم دائما بمنع من اعطاء أهمية خطيرة لهذا النزاع المحدود. ويتحقق عندئذ التوازن الكلى بوساطة هذه العمليات الاضافية الثلاث المتضامنة والتى تتوقف فعاليتها الى حد كبير على عامل الشك ·

ويجب أن نلاحظ أنه حتى بالنسبة لهذا الوضع ـ وهو أمر قد أثبتته التجربة فان الردع يترك هامشا ضيقا من حرية العمل ، ولكنه هامش هام ، وهو ذلك الذى تستغله الاستراتيجية السوفيتية غير المباشرة على الصعيد الدولى · ولايخضع العمل السياسى والاقتصادى ، واستغلال الحركات الثورية الاجنبية وحتى النزاعات التى تخوضها دول بوساطة دول أخرى ، للشلل بفضل الردع ـ على الاقل الردع الذى أشرنا اليه فى التو · والمنطق الذى أدى الى ايجاد نظام تقليدى للردع الاضافى (المكمل) يجب أن يؤدى الى ايجاد نظام للردع فى الميدان غير المباشر ·

ويبحث الغرب عن صيغة فعالة تماما فى هذا الميدان ، ولكنه لم يجدها حتى الآن لأسباب ترجع على وجه الخصوص لسوء فهم هذه المشكلة · ويعتبر هذا الموضوع البالغ الاهمية معقدا فى حد ذاته الى درجة كبيرة حتى أنه لا يمكن تلخيصه هنا ، وسوف يعالج بمفرده · ولكن من الواضح أن أية ثغرة بسيطة فى نظام الردع يعطى للعدو العليم بمواطن الامور امكانيات عمل يمكن فى المدى الطويل أن يعرض كل نظام الامن فى العالم الغربى للخطر ·

استراتيجية الحرب :

على الرغم من جميع الجهود التى تبذل فى سبيل الردع فلا يمكن التأكيد بأن الحرب لن تندلع وذلك بسبب عوامل الشك والبعد عن المنطق التى أبرزنا أهميتها. ويمكن أن نقول أنه باستثناء حالة الجنود ـ وهى حالة لا يمكن استبعادها ـ فلقد ظهر هتلر منذ وقت قريب فان الحرب ستكون نتيجة (لخطأ فى الحساب) أى نتيجة لتقدير متفائل للغاية لردود فعل العدو : التفكير بأنه يمكن القيام بهذا العمل أو ذاك بدون التعرض للعقاب ، وهكذا تتفجر المأساة · ماذا يمكن أن تكون عليه ـ اذن ـ الاستراتيجية فى العصر الذرى ؟

فى البداية أى فى الفترة التى كانت فيها استراتيجية الردع ترتكز أساسا على عمليات الانتقام الشاملة كانت استراتيجية الحرب تندمج باستراتيجية الردع : تنفيذ خطة « ضرب النار » المصممة من أجل الردع وكان يمكن أن تحدث عمليات تدمير ضخمة فى الجانبين ولكن لما كان الاعتقاد السائد هو أن أحد الاطراف (العدو) سيخرج من المعركة (استراتيجية قصم الظهر) فان مرحلة القضاء النهائى على العدو يمكن أن تتم « بما يتبقى » (من أسلحة) وهكذا تأخذ الحرب الشكل الاول القديم لعملية تدمير منطقية وهائلة ، تتبعها فترة استغلال يصعب التكهن بها بسبب عوامل الشك المختلفة المحيطة بنتائج ما أسمى بتواضع « التبادل النووى » ·

ولازالت هذه النظرة السطحية بعض الشىء تؤثر كثيرا على المفاهيم العسكرية بسبب استمرارها ولأن جميع تدريبات وقت السلام التى تهدف الى اختيار وتحسين مفعول الردع تقوم على دراسة « للتبادل النووى » الأمر الذى يدعو الى الاعتقاد بأن ذلك هو صورة الحرب المفترضة القادمة ·

ولحسن الحظ فان الأمر ليس كذلك أو على الأقل فان هذه الصورة ليست غير صورة افتراضية بعيدة جدا عن امكانية التحقيق : بدأ النزاع نتيجة لتفجر أكثر العوامل تطرفا لقد تبلورت بالتدريج – وبخاصة عندما أصبح التهديد النووى للعدو أكثر خطورة فكرة أن استراتيجية الحرب يجب أن تختلف عن استراتيجية الردع • ان استراتيجية الردع تهدف الى اثارة الخوف ولهذا فعليها أن تمسك بامكانية القيام بعمليات تدميرية رهيبة ، حتى لا تضطر الى القيام بهذه العمليات• ولكن اذا تحتم أنتكون هذه العمليات التدميرية من نصيب الجانبين ، فأين اذن الفائدة من وراء ذلك ؟ ان القيام بعمل يسبب الرد عليه الموت ليس فى الواقع غير شكل مقنع بالكاد للعقاب « الهاركيرى »(١) وعلى العكس يجب فعل كل شىء لتفادى هذا التطرف • ولما كان من المتوقع كثيرا أن يسود هذا التفكير المنطقى فى الجانبين ، فلن يكون هناك غير احتمال ضئيل لبدء العدو للحرب عن طريق شن هجوم نووى شامل • ولا يمكن تبرير مثل هذا الهجوم الا اذا استطاع العدو ، بعد تحقيقه تقدما كبيرا ، التفاخر باخراجنا من المعركة منذ الضربة الأولى ، وهو افتراض مرفوض طالما أن القوات النووية تحتفظ بدرجة كافية من القدرة على البقاء وأكبر الاحتمالات فى ظل هذه الظروف هو أن يبدأ العدو المعادى بعمل محدود بدرجة أو بأخرى والسؤال الذى يفرض نفسه عندئذ هو معرفة ماذا يكون عليه الرد ؟

على عكس ما يمكن أن يعتقده المرء فان الاجابة على هذا السؤال أثارت الكثير من الجدل ، فاذا كان التفكير السليم يشير الى ضرورة العمل على الحد من النزاع فان العديد من المعارضين يقولون أن هذه النية التحديدية لابد وأن تضر بالردع فى حين أن هجوما شاملا جيدا يعتبر بمثابة الوسيلة الوحيدة لمنع العدو من شن هجومه المحدود ويعترف المعارضون أنفسهم بدرجة أو بأخرى من الدقة ، بأن الهجوم الكثيف من شأنه أن يحدث تدميرات تجعل رد العدو محدودا للغاية ، أى تجعله محتملا بدرجة كافية ان هذه الحجة الخاصة بالردع لها ثقلها ، وسوف ندرسها بعد قليل • ولكن الذى وضع حدا للنقاش هو ما ظهر خلال السنوات الاخيرة من أن حجم رد العدو سيكون رهيبا فى جميع الاحوال • ولهذا السبب انحاز كيندى الى معسكر هؤلاء الذين أرادوا التخلى عن مبادىء الرد بوساطة عمليات انتقامية واسعة النطاق • وقد شرح الجنرال ماكسويل تايلور بوضوح تكتيكى وحتى بعملية نووية استراتيجية محدودة) ولكن هذا يعنى القول بأن كل المتغير » •

وتتخلص استراتيجية الرد المتغير هذه فى الرد على كل عمل من أعمال العدو، برد مناسب ذى قوة كافية من شأنها اصابة العدو بالفشل ولكنها لا تزج فى المعركة بغير القوات الضرورية • وهذا لا يعنى القول بأنه يجب محاكاة سلوك العدو (فيمكن على سبيل المثال الرد على هجوم تقليدى بوساطة دفاع ذرى تكتيكى وحتى بعملية نووية استراتيجية محدودة) ولكن هذا يعنى القول بأن كل حالة ستعالج حسب مزاياها وأنه لا يجب الالتجاء الى الرد الواسع النطاق الا عند الضرورة القصوى • وباختصار فهذه استراتيجية تريد أن تكون ذات فعالية فى ميدان الرد مع الابقاء على النزاع محدودا •

وترجع جدة هذه الاستراتيجية الى أنها تجمع ما بين النضال العسكرى والمحلى

---

(١) قتل النفس كما كان يحدث فى اليابان حتى قبيل الحرب العالمية الثانية (المترجم) •

والردع العام للابقاء على النزاع داخل حدود معينة · وبالاحتفاظ ، كاحتياطى ، بتهديد الرد الواسع النطاق فاننا نحتفظ بالجزء الاكبر من قيمة ردع استراتيجية « وقت السلام » ولما كان الردع من الجانبين فان كلا من العدوين سينحى فى اتجاه الحد من النزاع · واذا لم ترتكب أخطاء ، واذا ظل هدف النزاع محدودا فان العمليات العسكرية يمكن أن تتم فى الاطار المحدد لها « دون تصاعد الى أعلى المستويات » ·

يحتم الأمن فى اطار هذه اللعبة الخطرة والتى لا يمكن تفاديها ، وجود نظام جيد للغاية للاشراف على التسليح ، حتى يمكن تفادى أن يتم التصاعد بطريقة تلقائية نتيجة لسلوك المنفذين ، وتحول حادث اقليمى الى نزاع عام · ومن هنا وجد تكتيك خاص يحدد عددا من الحدود المتعاقبة لا يجب تخطيها الا بقرارات سياسية خاصة مع ضمان أى هذا التخطى لا يمكن أن يتم طالما أن التصريح لم يعط وهكذا تبدو الحرب بمثابة سلم له درجات عديدة (حوادث ـ حروب تقليدية ذرية تكتيكية ، استراتيجية محدودة ، استراتيجية شاملة ·· الخ) مع الأمل فى أن امتحان القوى ، اذا حدث ، سيتم عند أحد المستويات الوسيطة ·

وتثير هذه الاستراتيجية ـ التى لابد منها كما رأينا ـ اعتراضين خطيرين ـ وينبع الاعتراض الاول ، بطبيعة الحال ، من الدول المهددة بأن تصبح مسرحا للنزاعات « المحدودة » : ففكرة قيام هذه الدول بحضور ساحة المعركة التى قد تكون معركة ذرية ـ لا تبدو أنها فكرة مغرية · فتضحيات هذه الدول كان يمكن أن تبدو فى اطار كارثة عالمية ، عادلة بدرجة أكبر · ألم يتضح بأمنها لصالح المناطق المحجوزة التى يمكن أن تسمح بتشتيت جهود العدو ؟ أما الاعتراض الثانى فيرتبط بالردع الذى تحدثنا عنه فيما سبق· ألا يعد قبول النزاع المحدود بمثابة دعوة لخوضه ، وبالتالى الحد من الردع ، واذا اندلع نزاع محدود ألم تزدد مخاطر التصعيد الى أعلى المستويات ؟·

يوجد فى هذين الاعتراضين جانب أكبر من الحقيقة ، فالخطران قائمان بالفعل· ولكن لا يجب كذلك فهم مداهما فهما خاطئا · فصحيح أن هناك تعارضا بين وسائل استراتيجية الردع (تهديد التصاعد الى أقصى الدرجات) ووسائل استراتيجية الحرب (تحديد النزاعات العسكرية) · ولكن هذا التناقض لا يحدث فى الوقت نفسه فاستراتيجية الردع تمارس قبل استراتيجية الحرب · وعلاوة على ذلك فان لهاتين الاستراتيجيتين عوامل الشك نفسها والبعد عن المنطق التى ركزنا عليها آنفا والتى تعوض ، الى حد ما من تناقضها : فلا يمكن التأكد أبدا من أنه لن يحدث تصاعد الى أقصى الدرجات ، حتى فى استراتيجية ذات هدف محدود تماما· وهكذا يمكن الحفاظ على أثر الردع ، اذ أن المناطق المحجوزة لايمكنها أن تضرب بأمن المناطق التى تجرى فيها المعارك الاولى ، عرض الحائط · وفى النهاية فانه يوجد تضامن كامل بين أمن جميع المناطق ، تماما كما فى « استقرار الردع » · ويمكن من ناحية أخرى دعم هذا التضامن أو بالأحرى جعله أكثر وضوحا بواسطة بعض الاجراءات المحدودة وهذا هو الوضع مثلا بالنسبة للمخطط الذى ينادى بأن هذا الهدف أو ذاك من أهداف العدو يمثل « رهبنة » يمكن أن تدمر بوساطة القوات الاستراتيجية اذا ما هوجمت منطقة متقدمة صديقة معينة وانه اذا حدث رد محدود من جانب العدو فى الميدان الاستراتيجى ، فسوف يدمر هذا الهدف أو ذاك من أهداف العدو ويمكن عن طريق استخدام القوات الاستراتيجية بطريقة محدودة وتدريجية انقاص الاحساس بالتخلى عن مسارح المعارك الممكنة ·

وعلى أية حال فان مفهوم الحد من استراتيجية الحرب يجب الا يؤدى كما أكد البعض أحيانا الى التحديد السابق من جانب «لمسارح العمليات» التى لا يؤدى العدوان عليها الى شن عمليات انتقامية والتى يقبل المرء فيها الالتجاء الى حكم السلاح بين القوات المعسكرة بها، ومن جانب آخر « لعاقل » يحميها التهديد بشن عمليات انتقامية واسعة النطاق ويمكن أن ينجم عن هذا التوزيع الجغرافى للردع نقص فى حماية مسارح العمليات وعندما تندلع فيها الحروب ومع وجود مخاطرة التصاعد فان امكانية التصاعد الى أقصى المستويات فى المناطق الحساسة ستتزايد بدرجة كبيرة وكذلك فان حماية المناطق الحساسة مثلها فى ذلك مثل مسارح العمليات لا يمكن أن تتم بوساطة التهديد بشن عمليات انتقامية « أوتوماتيكية » واسعة النطاق فهذه العمليات فى ظل الظروف الحالية تؤدى الى الرد بوساطة عمليات مدمرة وهكذا فلن يحس الطرف المعنى بغير ارتياح كاذب بأنه أنزل بالعدو تدميرا من نفس درجة التدمير الذى لحق به والحقيقة فى هذا الميدان هى أن الردع يجب أن ينصب على مسارح العمليات كما على المناطق الحساسة وانه يجب فى كلتا الحالتين أن يكون (هذا الردع) متدرجا أى أنه يتضمن الالتجاء الى عمليات الرد « المتغيرة » وغير المتوقعة الى حد ما حتى يبقى عامل الشك الثمين على حاله ·

ولهذا فانه يمكن الاعتقاد بأن نزاعات العصر الذرى العنيفة يجب أن تقتصر على نوعين من الحروب : فى المناطق الحساسة على عمليات محدودة ربما عنيفة للغاية ولكن قصيرة وتهدف الى خلق حالة من الامر الواقع تتبعها المفاوضات مباشرة ، وفى المناطق الهامشية على نزاعات استنزاف طويلة ولكنها غير حادة نسبيا وذات طابع تقليدى أو ثورى : مثل ذلك سيناء ـ كوريا ـ الهند الصينية ـ لاوس · فأى لون آخر من ألوان الحروب لابد أن يتطور سريعا الى مرحلة التصاعد الى أعلى المستويات ·

ولكن من التهور الاعتقاد بأن الردع بوساطة السلاح الذرى يكفى لمنع النزاعات المسلحة فلقد أظهرت السنوات العشر الاخيرة أنه حتى مع وجود تفوق نووى كبير فان هذه النزاعات تظل ممكنة · وان حدة هذه النزاعات يمكن مع توازن القوى أن تزيد بدرجة كبيرة فى المستقبل الا اذا اتخذت اجراءات فعالة لاكمال تأثير الردع النووى بوساطة القوى « التكتيكية » والا اذا أمكن الابقاء على تأثير الردع عند مستوى مرتفع وذلك بوساطة تكتيكات مناسبة لا يجب مع ذلك المبالغة فى أهميتها ·

الاسلوب العام لتطور الاستراتيجية الذرية :

الدراسة التى فرغنا منها ليست سوى تحليل الافكار الرئيسية التى أخذت الواحدة تلو الاخرى والتى تتحكم فى الاستراتيجية الذرية ولكى لا نزيد من درجة تعقيد هذا الموضوع المثقل بالافكار الى درجة كبيرة فقد تركنا جانبا كل ما يخص مختلف « التكتيكات » (الاعتراض) ـ التوغل ـ النجاة ـ الاشراف على الاسلحة ـ الدروع ـ عامل الشك ·· الخ) التى تقوم بدور هام جدا فى المشكلة الاستراتيجية ·

ويكفى لتكوين فكرة عامة للظاهرة موضوع البحث وللتداخل القائم بين مختلف المعطيات استعراض تطور النضال السوفيتى الامريكى منذ خمس عشرة سنة استعراضا سريعا · وسوف نقسم هذا التطور الى أربع مراحل تبدأ كل مرحلة

منها بتبلور تقدم مادى من الجانب السوفيتى له نتائج استراتيجية هامة ، وتتبعه استراتيجية أمريكية مناسبة ترتكز على انجازات مادية خاصة :

(١) كان الاتحاد السوفيتى الذى لم يسرح قواته حقيقة الذى يملك فى المرحلة الاولى قوات جوية وبرية ضخمة وكان فى مقدوره بفضل استاتيجياته العسكرية والثورية أن ينجح فى غزو أوربا والقيام بالعمليات التخريبية بها · وردت الولايات المتحدة التى لم تكن تملك غير قوة جوية ذرية وليدة ، على هذا الخطر بوساطة استراتيجية ردع تتضمن اعادة بناء أوربا (مشروع ماريشال) وتسليحها تقليديا (معاهدة حلف الاطلنطى ، مشروع لشبونة) بغرض دعم الدفاع ، مع انشاء « قوة ضاربة » جوية ذرية هجومية الغرض منها تشكيل تهديد بالقيام بعمليات انتقامية واسعة النطاق · وبذلت الجهود لتمويل الاقتصاد الاوربى ونقل عتاد « البام » الى أوربا وبناء الطائرات والقنابل الذرية كما أقيمت سلسلة كاملة من القواعد البعيدة عن المركز (التى تقع عند أطراف المناطق المعنية) وذلك استنادا لمدى نشاط طائرات ب ٢٦ · وقد شملت هذه الاستراتيجية الجهاز السياسى والعسكرى السوفيتى · وهكذا أمكن تحقيق الردع وايقاف التوسع السوفيتى فى أوربا ·

(٢) لم يكن فى مقدور الاتحاد السوفيتى ، فى المرحلة الثانية ، غير الرد بوساطة استراتيجية دفاعية للردع يساندها هجوم مضاد فى ميدان الاستراتيجية غير المباشرة (كوربا ـ الهند الصينية) وكان الردع السوفيتى ، فى بداية الأمر ولعدم وجود الامكانيات الضرورية ردعا نفسيا : الحملات الموجهة ضد التسليح النووى بوساطة مؤتمرات السلام التى أحرزت بعض النتائج على الاقل فى أوربا والعالم الحديث الثالث · ولكن الاتحاد السوفيتى قد تمكن وبسرية كبيرة ـ بفضل الجهود العلمية ونشاط التجسس لم يسبق لها مثيل من امتلاك عدد القنابل الذرية وتشييد أول قوة ضاربة بتقليده لطائرة ب ٢٦ · وعمد فى الوقت نفسه الى تحسين دفاعه الجوى بوساطة نظام الرادار · وعمدت الولايات المتحدة أمام بداية هذا التهديد الذرى والدفاع الجوى ، الى الابقاء على قيمة استراتيجيتها الخاصة بالردع وذلك بدعم تهديدها الخاص بشن عمليات انتقامية · ومما زاد من ضرورة هذا الاتجاه هو أن تسليح أوربا كان بطيئا وناقصا ويرجع ذلك ، جزئيا الى غياب القوات الفرنسية المشتبكة فى حرب الهند الصينية وعلى الرغم من الدخول المتوقع لقوات ألمانيا الغربية فى المعمعة وكان لابد من أن يكون التهديد الجوى كافيا حتى لا يترك لقوات الدفاع غير دور انذار القوات الاستراتيجية · وقد زادت العمليات الانتقامية بدرجة كبيرة نتيجة امتلاك القنابل الهيدروجينية وكان يمكن أن يتم التغلغل على الرغم من أن أنظمة الدفاع السوفيتى بوساطة طائرات يمكن أن تحلق على ارتفاع يفوق مدى أجهزة رادار العدو · وأكثر سرعة من طائراته المطاردة · وكان التفوق الامريكى لاجدال فيه خلال سنتى ١٩٥٤ ـ ١٩٥٥ · ولم يكن الردع قائما فحسب بل لقد أصبح على السوفيت أن يوقفوا تقدمهم غير المباشر فى الهند الصينية وكوريا وقبول حلول وسط · ويجب أن نلاحظ أن الولايات المتحدة كان فى مقدورها فى ذلك كما أعلن ماك آرثر الحصول على أكثر مما حصلت عليه ·

(٣) ولكن السوفيت بدأوا فى المرحلة الثالثة يلحقون بالامريكيين فى ميدان الردع فقد أصبحوا يملكون بدورهم القنبلة الهيدروجينية تساندها « قوة ضاربة » لا بأس بها كما ارتفعوا بمستوى نظام دفاعهم الجوى ، الامر الذى سمح لهم

بالعودة الى هجومهم المضاد غير المباشر فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا ٠ وكان امتلاك السوفيت للسلاح الهيدروجينى يمثل خطرا بالغا ٠ وبدأت الاستراتيجية الامريكية تتردد بين وسائل مختلفة : هل يجب الابقاء على الردع بوساطة دعم التهديد بشن عمليات انتقامية أو على العكس بوساطة التجميد الجزئى لتهديد العدو بانشاء دفاع جوى فى أمريكا ؟ وهل من الممكن الحفاظ على درجة تصديق كافية لخطر العمليات الانتقامية حتى يمكن التلويح بشنها فى جميع الحالات حتى الحالات غير الهامة والا ، ألا يجب الالتجاء الى عمليات الردع الاضافية ودعم قوات الدفاع « التكتيكية » حتى يجد المرء نفسه فى موقف واقف يجب الاختيار فيها بين الرد الكامل أو الاستسلام ؟ وانتهى النقاش الكبير الذى بدىء هكذا فى عام ١٩٥٥ بهزيمة المقترحات التى كانت ترمى الى تنفيذ برنامج ضخم للصواريخ العابرة للقارات ٠ واستقال الجنرال « جافين » الذى نادى بهذا الحل ٠ وعلى العكس بدىء فى بناء نظام دفاعى جوى ضخم يغطى أمريكا برمتها كما تطور « التكتيك » الواقى من المفاجآت (اس ـ ايه ـ سى انذار الطائرات الخ) ٠ وجهز هذا الاخير بطائرات عابرة للقارات يمكنها أن تفلت وهى فى القلعة الامريكية من أول هجوم سوفيتى كما تقرر دعم وجود قوات تقليدية كافية ، بأسلحة ذرية تكتيكية أعطيت بأعداد كبيرة للدول الاعضاء فى منظمة حلف الاطلنطى ولكن تحت اشراف أمريكى دقيق (وهذه هى السياسة التى أطلق عليها ام سى ٧٠) واتسم قرار عام ١٩٥٥ هذا الذى حقق وقتيا ضربا من ضروب الاستقرار(١) بطابع محافظ الى درجة كبيرة ٠ وقد ظهر فيما بعد أنه قرار خاطىء وكان له تأثير بالغ فى المرحلة التالية ٠

(٤) لقد حقق السوفيت فى المرحلة الرابعة ـ وقد سبقوا الامريكيين هذه المرة ـ برنامج الصواريخ الذى ظن الجانب الامريكى أن فى مقدوره التخلى عنه ، ففى عام ١٩٥٧ كان لدى السوفيت الصاروخ العابر للقارات ، كما أطلقوا أول قمر صناعى٠ ووصلوا بعد ذلك بقليل الى القمر وأثبتوا بالتجارب دقة عمليات الاطلاق والقوة الهائلة لتفجيراتهم ٠ وهكذا أصبح فى مقدورهم اللحاق وسبق الامريكيين فى ميدان استراتيجية الردع ، لانه لم يعد من الممكن تفادى تهديد صواريخهم بوساطة الدفاع الجوى الامريكى الذى تمت اقامته بتكاليف باهظة والذى لا يعد ذا فعالية الا بالنسبة للطائرات ٠ ولما كانوا قد عمدوا فى الوقت نفسه الى تقوية دفاعهم الجوى وسلحوا قواتهم البرية بغرض خوض حرب ذرية تكتيكية ذات طابع هجومى (أسلحة ذرية تكتيكية ـ آلية كاملة ـ وسائل عبور برمائية ٠٠ الخ) فلقد أصبح فى مقدورهم شل الاجراءات التى اتخذتها الاستراتيجية الامريكية فى جميع الميادين وعادوا وهم يشعرون بالقوة نتيجة لهذا الوضع السيكولوجى الذى دعمته « سيوتنيك » المثيرة الى اثارة مشكلة برلين التى تعيد النظر فى كل موقف ألمانيا داخل منظمة حلف الاطلنطى وسمحوا لانفسهم بتحدى الولايات المتحدة مباشرة بصدد الكنغو وكوبا ٠

ومن حسن حظ الولايات المتحدة أن التفوق السوفيتى لم يكن من الممكن أن يتم الا تدريجيا وعندما تولى كيندى السلطة فى بداية عام ١٩٦١ كانت « شفرة الصواريخ » مازالت رهينة المستقبل ٠ ولكن لم يكن هناك وقت لاضاعته وكان يلتف من حوله (الرئيس الامريكى) عدد كبير من المتفوقين الذين أطالوا التفكير فى

---

(١) سمح هذا الاستقرار لكل من لبنان والاردن بوقف التقدم السوفيتى فى الشرق الاوسط ٠

هذه المشكلة وقد جاءوا باستراتيجية متناسقة كانوا قد عملوا على انضاجها خلال الفترة الثالثة ، فترة سنوات استمرار استراتيجية العمليات الانتقامية الواسعة المدى · وكانت هذه الاستراتيجية الاخيرة قد تم التخلى عنها رسميا · وتقرر الابقاء على الردع بوساطة استراتيجية سميت بالاستراتيجية « المتدرجة » ترمى الى تحقيق التوازن فى مختلف الميادين النووية الكلاسيكية وغير المباشرة وفى حالة اندلاع الحرب محاولة الحد منها بوساطة الرد المتغير الذى سبق أن أشرنا الى نظريته · وكان يجب فى ميدان القوة الضاربة النووية والتى أصبحت درعا دفاعيا أكثر منها « سيفا » المحافظة بأى ثمن على قدرة رد قوية · وعمل من أجل ذلك على تطوير الصواريخ (بولاريس – مينيتمان) التى درست لحسن الحظ أثناء المرحلة السابقة ، والتأكد نتيجة لتكتيك جيد جدا للحماية (غواصات ذرية – مخابىء بالاسمنت المسلح ··) من أنها لن تدمر بوساطة أول قذف للعدو · وفى الميدان التقليدى طلب من حلفاء منظمة الاطلنطى بوجه الخصوص تقوية دفاعهم التكتيكى الذى أصبح جوهريا · وشيد فى ميدان الاستراتيجية غير المباشرة احتياطى قوى من قوات التدخل التقليدية التى يمكن نقلها جوا · وأخيرا ولتفادى التصعيد التلقائى الى أعلى المستويات فى حالة اندلاع النزاع وضع « تكتيك » للاشراف على التسليح النووى وبذلت محاولات لتعليم السوفيت – الذين يدعون الجهل – فن الابقاء على النزاعات عند مستوى محدود ·

وقد حدث هذا التعديل فى وقته لتفادى ثغرة الصواريخ التى بدا أنها ستبدأ فى الظهور عندما اتضح أن السبق السوفيتى فى ميدان الصواريخ أقل مما كان يخشاه البعض واتفقت جميع البيانات على التأكيد بأن القوة الضاربة السوفيتية العابرة للقارات لم يكن لها حتى ذلك الوقت غير امكانية محدودة ، أى تلك التى تتفق مع التكتيك « الموجه ضد المدن » وأنه لا يمكن أن تكون لها امكانية كافية فى ميدان التكتيك المسمى « ضد القارات » ولما كانت الولايات المتحدة هى التى بذلت جهودا ضخمة فقد بدا أنها هى التى تتمتع الآن بتفوق ملحوظ وقد سمح هذا الموقف لمكنمارا بالاعلان عن استراتيجيته الخاصة بالردع المتدرج بوساطة عمليات الرد المتغيرة ·

وبدا عندئذ أن السوفيت يحاولون بدورهم سد « ثغرة الصواريخ » وذلك باقامة صواريخ متوسطة المدى فى كوبا ، الأمر الذى يسمح لهم بالتمتع بامكانية خطيرة فى ميدان التكتيك الموجه ضد القوات (قوات الولايات المتحدة الامريكية) بالنسبة لطائرات « اس – ايه – سى » وهكذا أصبح فى مقدورهم أن يحققوا خلال بضعة أشهر بوساطة طائرات « أى · آر · بى · ام » تقدما لم يكن فى مقدورهم بلوغه بوساطة طائرات « أى · سى · بى · ام » الا بعد مرور عدة سنوات · وغطيت هذه العملية التى تتسم بالمغامرة والتى تمت فى ظل وضع يتسم بالتخلف وفى مكان متناول غزو الامريكيين بحملة تحذير تنادى برغبة السوفيت فى الاقتصار فى كوبا على المنشآت الدفاعية ولكن الامريكيين أدركوا الخطر فى الوقت المناسب وكان ردهم قاسيا وفوريا ولكن « موزونا » بدقة · ولم يكن أمام السوفيت غير الرضوخ لانهم فى وضع الاضعف · وقد تمت هذه المرحلة من مراحل الحرب الكامنة فى ميدان الردع الذرى من الجانبين بدقة متناهية وواقعية وهدوء أعصاب ، وانتهت فى صالح الامريكيين واضطر السوفيت الى متابعة برنامج التسليح الامريكى الضخم ، الأمر الذى يمكن أن يؤثر على اقتصادهم الذى هم أقل قوة بدرجة النصف من اقتصاد أعدائهم الاثرياء ·

(٥) ولكن سرعان ماظهرت بوادر مرحلة خامسة لان السوفيت كانوا يحتفظون فى ميدان الفضاء – حيث يمكن أن تظهر أسلحة جديدة – بسبق مثير من الصعب التكهن بمداه · ومن ناحية أخرى فان سياستهم النووية التى ترتكز على مبـــدأ « أكبر من أكبر سلاح » كان يمكن أن تحدث التوازن ، بعدد أقل من الاسلحة مع النظام الامريكى الباهظ التكاليف والذى يرتكز على الاسلحة الاستراتيجية الاصغر حجما والاكثر عددا ومن المحتمل أن نعاصر ، فى ميدان الفضاء وفى ظل قنبـلة « النترون » (مثلا) تطورات جديدة فى ميدان الردع الاستراتيجى ·

ومع ذلك فقد ظهر فى الوقت نفسه اتجاه جديد يمثله « كيزنجر » يحاول توجيه جهود الردع لدعم «الدروع» الدفاعية · وأمام الاخطار غير المقبولة للحرب النووية الاستراتيجية نجد ميلا للعودة الى الردع بوساطة التغطية المباشرة للمناطق المهددة وباستخدام السلاح الذرى « التكتيكى » عند الضرورة وتتضمن هذه الفكرة التى تمثل انقلابا لصالح الاستراتيجية البرية القديمة على حساب الاستراتيجية الجوية جانبا كبيرا من الحقيقـة · وسيكون لنجاحها الفضـل الكبير فى احداث توازن عسكرى معين فى العالم ·

يفرض هذا الاستعراض السريع للتطور الذى حدث خلال السنوات الخمس‌عشرة الاخيرة عددا من الافكار :

أولا : الطابع غير الثابت بدرجة عالية للغاية للأوضـاع السائدة والقيمة غير الدائمة لأنظمة الدفاع المعمول بها : فالمعتـاد والتكتيكات تصبح كل خمس سنوات عتيقة وغير مسايرة لمقتضيات الزمن : وذلك بدرجة أكبر مما كان يحدث قديما فى الفترة بين حرب وأخرى · وبدا هذا الاستهلاك الفادح للثروات بمثابة ضريبـة يزداد معدلها باستمرار من أجل ضمان أمن تقل درجته باستمرار كذلك · ويجب أن يؤدى هـذا السباق فى أحد الايام الى الحرب أو الافلاس الاقتصـادى أو الى اتفاق بالحد من التسليح لأنه لا يمكن الحفاظ الى ما لا نهاية على السلام مع بقاء توتر على هذه الدرجة من الاهمية ·

وهناك ملاحظة أخـرى هامة وهى أنه اذا كان السـوفيت قد نجحوا تقريبـا – وبطريقة مثيرة – فى التغلب على تخلفهم فى ميدان الردع فان ذلك يرجع الى أن أن الولايات المتحدة الامريكية لم تستغل مرتين فى وقت كانت تتمتع فيه بسبق كبير (فى المرحلة الاولى ، خاصة فى المرحلة الثانيـة) الموقف لصالحهـا · وهذا يدل على أنه اذا كان التنـافس حادا فانه لا يتضـمن « عقوبات » فورية بدرجة كبيرة ·

وعلى الرغم من أنه من الممكن أن يكون السوفيت أكثر صـلابة فى العمل من الامريكيين فمن غير المحتمل أن يجرءوا على استغلال ميزة ما الى أبعد الحـدود طالما أنه ليس لها طابع مطلق · ويقبع السبب الرئيسى لهذا الحذر فى عامل الشك الذى لايسمح فى أغلب الوقت تقريبا بمعرفة أين نضع أقدامنا بالضبط ·

ويمكن أن نلاحظ مع عدم حدوث أى عمل فى هذا النضال المستمر ، أن المنحنى العام للردع قد مال منذ بداية المرحلة الثالثة ، لصالح السوفيت وكانت استراتيجية العمليات الانتقامية الواسعة المدى استراتيجية هجومية · أما استراتيجية الردع المتدرج فهى استراتيجية دفاعية ولم تثبت بعد فعاليتها تجاه الاستراتيجية السوفيتية غير المباشرة ·

ويظهر التطور الذى حدث فى ميدان ميكانيكية الاستراتيجية العلاقة بين الاجهزة الحديثة والامكانيات التكتيكية الجديدة لهذه الاجهزة ، عندما تؤدى الى احداث تغير فى التوازن الاستراتيجى وحدث عندئذ اتجاه مضاد : ان تصحيح التوازن الاستراتيجى يحتم اختيار قرار استراتيجى (كما حدث فى عام ١٩٥٥ مثلا) تكون نتيجته تحديد الامكانيات التكتيكية التى يجب الحصول عليها (الاعتراض – التغلغل – الحماية والبقاء.. الخ) والتى ستنجم عنها الاجهزة الجديدة التى يجب صنعها «أجهزة الرادار، الصواريخ، الغواصات..الخ..) يقول بعض الكتاب مثل «روجرون» أنه ليست هناك استراتيجية غير استراتيجية الوسائل . وهذا صحيح بمعنى أنه يجب امتلاك وسائل الاستراتيجية المتبعة ولكن هذا لا يعنى أن الاختراعات يجب أن تتحكم فى الاستراتيجية بل العكس ، وطبقا للمنطق السليم فان الاستراتيجية هى التى يجب أن توجه الاختراعات أو على الاقل تدعو الى الاختيار من بين هذه الاختراعات تلك التى تشبع أكثر من غيرها احتياجات الاستراتيجية . ويمكن أن تنقصنا ، فى بعض الحالات الوسائل الضرورية (كما كانت الحال بالنسبة السوفيت طالما لم يحصلوا على القوة النووية) وعندئذ يجب أن تجد الاستراتيجية الوسيلة المكملة (الحملة السيكولوجية لمؤتمرات السلام على سبيل المثال) وذلك باختيار حل يمكن أن «يجمد» استراتيجية العدو ، بالوسائل المتاحة وهذا يدخل فى ميدان الذكاء والتخيل .

ملاحظات ختامية للاستراتيجية الذرية :

النتائج التى يمكن استخلاصها من دراسة الاستراتيجية الذرية هى بطبيعة الحال نتائج عديدة ومختلفة جدا وسوف نقتصر هنا على أهمها :

(١) تقع الاستراتيجية الذرية بالضرورة فى نطاق الحرب الشاملة ويرجع ذلك الى مكوناتها السيكولوجية ، المالية ، والاقتصادية الهامة جدا . وهى – اذن – شكل خاص بل يمكن القول الشكل الحديث « للاستراتيجية الشاملة » فى نمطها المباشر .

لقد كانت جميع الاستراتيجيات الجديدة استراتيجيات شاملة – حتى أكثرها «عملية» مثل استراتيجيات الاسكندر الاكبر ونابليون – ولكن طابعها الشمولى كثيرا ما كان يتوارى وراء وهج المعارك الى درجة دفعت المؤرخين الى ارتكاب الأخطاء .

انالسلاح الذرى الذى لم تنتج عنه معارك حتى الآن ، يحتم الالمام التام بالظاهرة الاستراتيجية برمتها وبنفوذ عواملها المختلفة . وبدأت تحل محل الاستراتيجية الشاملة التى يوجهها بطريق الايحاء ، رؤساء الحكومات ، استراتيجية تهدف الى أن تكون استراتيجية شاملة علميا . لقد أصبحت الاستراتيجية الشاملة طريقة للتفكير لا غنى عنها عند مستوى الطبقات الحاكمة . ومما يدل على ذلك المثال الكوبى .

(٢) لقد قضت الاستراتيجية الشاملة للعصر الذرى على مفاهيم القرن التاسع عشر الاستراتيجية ، وخاصة على مفاهيم مدرسة «كلوزويتز» الضارة بسبب تأثير مضامينها الخاطئة على تفكير القائد . ولا يسع المرء الا أن يهنىء نفسه بذلكولكن يجب الآن تصميم نظام جديد مع محاولة تفادى – هذه المرة – بناء صرح نظرية

ذات طابع خاص للغاية يمكن أن يؤدى الى أخطاء أكثر خطورة والذى لا يجب عمله هو ايجاد « استراتيجية ذرية » لا تصلح لغير الظروف الراهنة ، بل يجب التوصل الى استراتيجية شاملة تتضمن ـ فى الوقت نفسه ـ الظاهرة النووية والظواهر التى تتبعها (الفضاء ، الكيمياء .... الخ) وكذلك الاشكال الثانوية وغير المباشرة ·

(٣) يجب أن تتضمن الاستراتيجية الجديدة التغيرات الكبيرة التى نجمت عن ادخال القوة العلمية والصناعية فى ميدان الدفاع ·

وهناك أولا تغير مستوى مشكلات الدفاع بسبب مدى وقوة الاسلحة وكذلك بسبب النفقات الضخمة التى تستلزمها هذه الاسلحة ولابد أن يؤثر تغيير هذا المستوى سريعا على حجم الدول · ان شروط الأمن التى أوجدت المدينة القديمة ومملكة القرن السادس عشر يمكن أن تقوم مرة أخرى بدور حاسم فى بناء هياكل الكيانات الدولية ·

ويجىء بعد ذلك تغير طابع مشكلات الدفاع بسبب تأثير العامل الصناعى · لقد أصبح التمهيد والاستعداد أكثر أهمية من التنفيذ ، لأن امتلاك امكانيات أعلى مستوى من غيرها يعد أكثر أهمية من طريقة استخدام هذه الامكانيات · ويعد ذلك انقلابا كاملا لفن الحرب الذى كان يقول عنه نابليون « انه تنفيذى بحت » · ونتيجة لذلك يتخذ مفهوم الأمن الذى كان يقول مرتبطا فيما مضى بالحماية المباشرة التى تضمنها القوات المتواجهة طابعا تجريديا لسبق معين فى ميدان الاستقرار · ويحل التجسس العلمى محل المراكز المتقدمة ويصبح مفهوم المناورة نفسه ذا طابع مجرد أكثر فأكثر · فمناورة القوات فى المجال (الجغرافى) والتى كانت تمثل باللونين الأزرق والأحمر على خريطة تحدد المواقع فيها بالزيتون والأسهم تصبح مناورة امكانيات فى الزمان لا يمكن تمثيلها بالرسوم البيانية · ويحتل العامل الكيفى (المعنويات والتكتيك) فى تقدير الامكانيات مكانة أعلى بكثير من العامل الكمى ، الأمر الذى يجعل تقدير موقف ما ذا طابع شخصى أكثر فأكثر· وقد مال المعدل الزمنى الذى كان فيما مضى منخفضا للغاية (فالحملة فى القرن التاسع عشر كان يمكن أن تدوم شهرا والمعركة بضع ساعات) الى الارتفاع أثناء الحروب الكبرى للقرن العشرين أولا بسبب اتساع مسرح العمليات ثم بسبب الفترات الزمنية الضرورية لانتاج الوسائل المادية التى ظهر أنه لا غنى عنها (لأنه لم يكن فى المقدور التكهن بها) · ان مدد تنفيذ حرب الامدادات والتموين الدائر رحاها الآن تبلغ خمس سنوات · لهذا يجب التفكير فى وضع سيتحقق فى المستقبل ورهن بظروفه ، خمس سنوات قبل حدوثه وبناء على ذلك فان تقدير ما سيحدث يصبح فنا من الفنون الحيوية ·

وتنجم نتائج مشابهة ولكن ذات مدى أطول من الاستخدام الدائم « للتكتيك » السياسى والثورى فالاتحاد السوفيتى لم يجن الا ابتداء من عام ١٩٤٨ (انتصار ماوتسى تونج فى الصين) ثمار مؤتمر باكوا عام ١٩٢١ ·

(٤) لما كان كل شىء هام فى « وقت السلام » يحدث « سلفا » فان الجهود تهدف بطريقة طبيعية للوصول الى نتيجة معينة مع تفادى الحرب التى تصبح مجرد « اثبات » لفعالية الاستعدادات التى تم تنفيذها · ومن هنا يمكن تفسير التطور المنطقى ـ والذى لازال ناقصا من غير شك ـ لاستراتيجية الردع ·

يبرز تطور استراتيجية الردع الأهمية المتزايدة لعمليات الردع المكملة لتلك التى يتم الحصول عليها بوساطة التهديد بالعمليات الانتقامية الذرية · وهكذا فان السلاح الذرى مثل جميع الأسلحة التى سبقته ، أضيف الى الأسلحة القديمة بدون أن يلغيها · وتتم مجموعة الاسلحة ابتداء من السلاح الأبيض ولكنه لم ينقرض تماما · · ونجد الشىء نفسه بالنسبة للأسلحة الأقل التى يطلق عليها اسم الأسلحة « التقليدية » وتبلور توازن جديد ولكنه على خلاف اعتقاد بعض المتنبئين العصريين ، يقضى بضرورة الابقاء على قوات « تقليدية » هامة · وستفرض وسائل أخرى غير معروفة نفسها من غير شك لتكميل الردع فى ميدان الاستراتيجية غير المباشرة ·

(٥) وبعمل تطور استراتيجية الردع أكثر فأكثر على تقلص حرية عمل « القوة » ونتيجة لذلك فان النزاعات التى تمتص عن طريق عملية الردع المتبادل كمية ضخمة من الطاقة والموارد يمكن أن تحل بوساطة عمليات هامشية ذات طابع ظاهرى على درجة كبيرة من التواضع · وتسمح هذه العمليات الهامشية فى الواقع بقياس الامكانيات والارادة التى ظلت متاحة · وهكذا اذا اندلعت الحرب فسيكون هناك ما يدعو الى بقائها محدودة والى تقرير نتيجتها « بالنقط » وعلى أية حال فان هذه هى الطريقة التى تحل بواسطتها الأزمات التى تتولد من المناورات أو التهديدات المتطورة فى ميدان الاستراتيجية غير المباشرة وبهذه الطريقة كذلك حلت أزمة الاستراتيجية الخاصة بكوبا وهكذا تبتعد أكثر فأكثر من نمط النزاع الشامل الذى وضعت « رومانتيكية » القرن التاسع عشر نظرياته · ان المخططات الحديثة هى مخططات استراتيجية فى المقام الأول تتحكم فيها السياسة أكثر من أى وقت مضى ·

ولكن وجود هامش لحرية عمل « القوة » مهما صغر ، يضفى أهمية جديدة للعمليات الصغيرة التى يجعلها ممكنة · لقد كانت الحرب القديمة تقطع أوصال التاريخ بمعاركها كما تفعل العمليات الجراحية الدامية · أما الحرب الجديدة ذات الجوانب المتعددة فانها تنتمى أكثر الى عملية عدوى الأمراض · ولكن يجب ألا يخدعنا عملها البطىء الأقل اثارة : فانقلابات القوة التى تحدثها تدريجيا ستظهر فيما بعد وكأنها انفجار عالمى · ولهذا فمن الضرورى التوصل الى « طب » يستطيع القضاء على النزاعات ذات المظهر الثانوى التى تستغل حمى مكافحة الاستعمار وأزمات التكيف مع طاقات الانتاج الحديث وكذلك مع الانفجار السكانى الناجم عن معجزة « باستير » · وهذه هى مشكلة ما أسميناه « بالاستراتيجية غير المباشرة » وليست هناك مشكلة أكثر منها الحاحا اليوم ، وسوف ندرسها فى الفصل القادم ·

(٦) ويمكن كذلك أن يتولد عن استراتيجية الردع تكتيك حقيقى للسلام فعندما نقيس التقدم الذى أحرز فى هذا الميدان خلال عشر سنوات فيمكن الاعتقاد بأن هذا التقدم سيستمر وانه ربما أمكن الوصول الى تنظيم للسلام يتسم بمنطقية وفاعلية أكثر من التنظيمات السابقة والتى كانت ترتكز كلية على عوامل عاطفية وأخلاقية ·

ويمكن أن تؤدى استراتيجية السلام هذه الى توازن ثابت يسمح بالاشراف على عمليات التسليح أو على تكوين قوة دولية قادرة على كسر التوازن لغير صالح مقلق للسلام · ولازال هذا الهدف بعيدا عن الانظار ولكنه ليس بعيدا عن

التفكير · واذا بحثنا جيدا أمكننا العثـــور على حلول تسمح الظروف المواتيـة بتطبيقها ·

(٧) وفى النهاية هل نتجه صوب حرب انتحارية أم صوب السلام ؟ لايمكن الاجابة على هذا السؤال الجوهرى بطريقة قاطعة ، فيجب لكى نجيب بهذه الطريقة القاطعة أن نكون أولا ، على يقين من أن الحرب لا ترتبط بغير رغبة الرجال · لقد رأينا فى الحروب منذ أقدم العصور علامات رغبات الآلهة ثم علامات حتمية التاريخ ، وفى الوقت القريب ، علامات الزيادة السكانية · ولكن اذا كان الاختيار بين الحرب والسلام هو من شئون البشر ، ويخضع لقوانين المنطق فيمكن القول بأن السلاح الذرى بتضخيمه المخاطر بدرجة متناهية فى الكبر يضفى على السلام استقرارا أكبر · واذا استثنينا خداع المصير أوالحتمية البيولوجية فان «الاحتمال» الممـكن يكمن فى استخدام القـــوة بعد استئناسها وترويضها بدرجـــة أكبر من التخطيط · لن تحدث ـ اذن ـ قفزات عاطفيـــة فى المجهـول ، أو على الأقل ستحدث بدرجة أقل ونتيجة لذلك لن تندلع من غير شك « حروب كبيرة » مثل تلك التى كانت تعد خراج القرن العشرين والتى أدت من غير شك الى تدهور أوروبا السابق لأوانه ·

ولكن هل سنعاصر السلام ؟ بالتأكيد لا ، لأن عواطف الرجـــال بالاضافة الى القوى التى لازالت غامضة والتى تحكم التطور الاقتصـــادى والبيولوجى للجنس (البشرى) سوف تجد دائما ميدانا للتوسع لانتاج تحولات القوى أو الموارد التى تنجم عن تغيرات التوازن ويمكن أن تقـــل أو تختفى الحروب القديمة بطبولهـا وأعلامها التى ترفرف فى عنان السماء · وسيكون البديل المعرض هو تطور الحرب النووية الثورية والنزاعات المتواطنة والأزمات المتكررة الناجمة عن المجهود العلمى الصناعى والعسكرى المستمر ·

ان انســـان القرن العشرين الذى تســـتبد بتفكيره كارثتا : ١٩١٤ـ١٩١٨ ، ١٩٣٩ـ١٩٤٥ العقيمتان والمسلح بجميع امكانيات العلم الحديث ، قد يكون قد وجد أخيرا الوسيلة لتفادى اندلاع مثل هذه الكوارث من جديد · ولكن الثمن الذى عليه أن يدفعه والذى يفرضه مصير ساخر سيكون مختلفا عن ذلك الذى كان يتوقعه : فالنضال القاصر على مستوى ضيق سيصبح نضالا دائما ·

وهكذا تكون الحرب الكبرى والسلام الحقيقى قد لقيا حتفهما معا ·

الفصل الرابع
الاستراتيجية غير المباشرة

تعريف :

قد يبدو اصطلاح الاستراتيجية غير المباشرة غير دقيق ويكتنفه الغموض ولقد شيد « ليدل هارت » بطريقة بارعة نظرية « المدخل غير المباشر » الذى يعتبره خير استراتيجية · وتتضمن هذه الاخيرة فى ميـــدان العمليات العسكرية ، عدم « الامساك بالثور من قرنيه » أى عدم مواجهة العدو فى اختبـار قوة مباشرة ، وعدم التعرض له الا بعد اثارة قلقه ومفاجأته وكسر توازنه عن طريق مدخل غير متوقع يتحقق بوسائل ملتوية · وهذا هو ما حدث عندما استولى الاسكندر قبل أن يزحف على فارس وعلى فلسطين ومصر ، وعندما غزا « سيبيون » اسبانيا قبل مهاجمته قرطاجنة ويمكن اعتبار نزول قوات الحلفاء فى شـــمال افريقيا فى عام ١٩٤٢ ، وحملة الصرب فى عام ١٩١٨ ، يمكن اعتبار ذلك من باب الاستراتيجية غير المباشرة ·

وفى الحقيقة فان مناورة المدخل غير المباشر هذه هى وسيلة تفرض فرضا على أحد الطرفين المتخاصمين الذى لا يؤمن ايمانا قاطعـــا بأنها على قدر من القوة تسمح له بقهر العدو فى معركة تدور رحاها على الارض التى يختارها هذا الاخير · ويلاحظ ليدل هارت ، بحق ، انه لا يمكن لأحد أن يكون متأكدا تماما من أنه يتمتع بقوة كافية وانه حتى اذا كان على هذه الدرجة من القوة فان النصر سيكون ذا تكاليف أكثر بكثير · ولهذا فهو يوصى بالاستخدام الدائم للمدخل غير المباشر · وهو من غير شك على حق فى كثير من الحالات ، ولكن هذا لا يمنع أن الفكرة الرئيسية لهذا المفهـوم هى قلب علاقات القوى المتواجهـــة قبل اختبار المعركة بوساطة قتال · وبدل المواجهة المباشرة تلجأ الاطراف المعنية الى مخطط الى مخطط أكثر عمقا يهدف الى تعويض النقص الذى يحس به الطرف المعنى ·

وقد وجـدت هذه الفكرة الرئيســـية ، التى كانت تترجم فى الاســـتراتيجية العسكرية التقليدية بمناورة ذات طابع جغرافى (المدخل غير المباشر) تطبيقـــا لها فى الاستراتيجية الشاملة بشكل مختلف فى جميع النزاعات التى حاول أحد الطرفين فيها التوصل الى نتيجة معينـــة بوساطة امكانيات عسكرية كانت لسبب أو لآخر (ضعف ذاتى أو الاقتناع عن طريق الردع عن استخدام امكانيات ذات أهمية أكبر) أضعف من تلك التى يمكن أن يواجـــه بها · ولهذا فنحن سنطلق على هذه الاستراتيجية اسم الاستراتيجية غير المباشرة ·

وسوف نرى أن هذه الاستراتيجية التى تجد ميدانا كبيرا جدا للتطبيق بسبب وجود السلاح الذرى وحمى مكافحة الاستعمار قد أصبحت على درجة كبيرة من التعقيد والفعالية وغالبا ما تكون صفاتها الخفية لأنها صفات غير مباشرة ، غير مفهومة، الأمر الذى أدى الى تعرضنا لسلسلة متصـــلة الحلقات من النكســـات فى هذا الميدان · ولهذا فمن الأهمية بمكان العمل على محـــاولة تفهم « ميكانيكية » هذه الاستراتيجية ·

لا يقبع الفرق بين المدخل غير المباشر والاستراتيجية غير المباشرة فى الطابع الجغرافى وحده « للمدخل » والذى أشرنا اليه فيما سبق فالاستعداد له هو وحده الذى يعد غير مباشر · ولهذا أدخلت « المدخل » غير المباشر فى محيط الاستراتيجية المباشرة · ان الاستراتيجية غير المباشرة هى تلك التى تنتظر الوصول الى جوهر النتيجة (المرجوة) بوساطة وسائل غير وسائل الانتصار العسكرى ·

وتقبع صفة أخرى من صفات الاستراتيجية غير المباشرة فى الوضع الخاص لحرية العمل فكل نزاع فى أيامنا هذه – وقد حدث ذلك حتى قبل ظهور السلاح الذرى – لا يمكن أن يتم الا داخل هامش محدد تماما لحرية العمل وذلك بسبب الانعكاسات التى يمكن أن تؤثر على الوضع الدولى نتيجة لتطور هذه النزاعات· ففى عام١٩١٢ ، على سبيل المثال عرف سكان البلقان عنالتقدم حتى القسطنطينية حيث كان لا يراد أن ترسى روسيا أسس وجودها · وحدث الشىء نفسه فى المغرب حيث اضطرت فرنسا الى مهادنة المصالح الانجليزية والاسبانية ·· الخ · وقد أشرنا فى دراسة أخرى الى غلطة الألمان بغزوهم بلجيكا فى عام ١٩١٤ وبددتهم حرب الخواصات فى عام ١٩١٦ ·· الخ ·· وكانت الأطراف المعنية فى ذلك الوقت محدودة العمل بسبب الخوف مما كان يسميه « كلوزويتز » بالتصاعد الى أقصى المستويات الممكنة أى بتطور نزاع محدود الى انفجار لا يتناسب أبدا مع الهدف الأصلى · ولقد حاول هتلر خلال الفترة من عام ١٩٣٦ الى عام١٩٣٩ بلوغ أهدافه دون تفجير حرب عالمية كبرى · وبظهور السلاح الذرى أصبح خطر التصاعد الى أقصى المستويات » على درجة من الكبر جعلت هامش حرية العمل يتقلص بدرجة كبيرة ، ولكن هذا الهامش لازال موجودا كما تثبت ذلك النزاعات العديدة المحدودة التى اندلعت منذ عام ١٩٥٠ (كوريا – الهند الصينية ، وشمال افريقيا ، واسرائيل ، والمجر ، والسويس ، والكنغو ، وكوبا ، وبرلين) ·

وبقدر تقلص هامش حرية العمل بقدر ما أصبح استغلاله هاما ، لأن هذا الهامش وحده هو الذى يسمح بالتصدى للوضع الراهن الذى يزعم الردع النووى الابقاء عليه · وبقدر ما كان هامش حرية العمل محدودا بقدر ما كانت وسائل استغلاله تتميز بالتدرج الى درجة اكتسابها مميزات أصبحت معها الحرب فى صورة لا يمكن بها التعرف عليها · ومع ذلك فان النتائج التى أمكن التوصل اليها كانت أهم من تلك التى كان يمكن الحصول عليها بوساطة حرب كبرى : لقد خسر الغرب الصين وغالبية جنوب شرقى آسيا ، وتعرض الشرق الأوسط للاضطرابات وثارت أفريقيا وامتد التوتر الى أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية · ولكن جميع هذه النتائج ليست فقط الناتج الحتمى للتطور التاريخى ، فهى ناجمة عن الاستخدام الأكثر حذقا للاتجاهات الطبيعية للتطور بوساطة مناورات محسوبة حسابا دقيقا تبعا لاستراتيجية دقيقة ، تلك التى نسميها الاستراتيجية غير المباشرة · وقد بدت هذه الاخيرة خير ترياق لما يسمى بالشلل النووى ·

وهكذا تبدو الاستراتيجية غير المباشرة وكأنها فن معرفة استغلال الهامش الضيق لحرية العمل الذى يفلت من نفوذ الردع بوساطة الأسلحة الذرية واحراز نجاحات حاسمة عامة على الرغم من قلة الامكانيات العسكرية التى يمكن استخدامها الى الحد الأقصى ·

وسنحاول ابتداء من هذا التعريف محاولة فهم قواعد هذه اللعبة المتغيرة بدرجة كبيرة ·

مفهوم الاستراتيجية غير المباشرة :

يتلخص العامل الأول في الاستراتيجية غير المباشرة في تحديد هامش حرية العمل الذي تسمح به الظروف السائدة ، والتأكد من أن هذا الهامش يمكن الابقاء عليه أو زيادته اذا دعت الضرورة الى ذلك ، في حين يعمل على تقلص الهامش الذي يتمتع به العدو الى أقل درجة ممكنة .

ويظهر لنا هذا المبدأ الذي أبرزناه في تحليلنا للاستراتيجية بوجه عام وهو أن كل « ديالكتيكية » للنضال تعود الى نزاع من أجل حرية العمل . ولكن طابع الجدة الأساسي في الاستراتيجية غير المباشرة يكمن في أن حرية العمل لا تعتمد الا بدرجة ضعيفة على العمليات التي ستتم في المنطقة المعنية ، في حين تعتمد كلية تقريبا على عوامل خارجية عن هذه المنطقة : تقدير لأهمية الردع النووي ، تقدير لردود الفعل الدولية ، لامكانيات العدو المعنوية ودرجة حساسيته للعمليات المقررة وللضغوط الخارجية .. الخ .

وينتج عن ذلك امكانية ونجاح العملية تخضع لنجاح المناورة على الصعيد الدولي وهذا ما سنسميه « بالمناورة الخارجية » . وكثيرا ما أهمل تقدير أهمية هذه المناورة الأخيرة فلم يلتفت لغير جوهر النضال الذي لم يتم على أرض المعارك بل بعيدا عنها . وبوجه عام فان هذا الفهم الخاطىء هو الذي أدى الى سلسلة الفشل المتعددة الحلقات التي حاقت بنا .

مفهوم المناورة الخارجية :

تكمن الفكرة الرئيسية للمناورة الخارجية في الحصول على أكبر قدر ممكن من حرية العمل وذلك عن طريق شل نشاط العدو بوساطة ألف طريقة من طرق الردع كما فعل سكان « ليلى بوت » عندما أوثقوا الرباط حول « جلفر » . ونحن هنا بطبيعة الحال كما في كل عملية من عمليات الردع أمام مناورة سيكلوجية تستغل لنفس هذا الهدف الوسائل السياسية والاقتصادية والديبلوماسية والعسكرية .

وتتنوع وسائل الردع المستخدمة من أكثرها دقة الى أكثرها عنفا ، فيمكن أن يثار موضوع احترام الأشكال القانونية للقانون الداخلي والقانون الدولي ، أو موضوع القيم الأخلاقية والانسانية مع محاولة اثارة تأنيب ضمير العدو بالنسبة للنضال ، وذلك بتشكيكه في عدالة قضيته وهكذا يعمل على ايجاد معارضة من جانب قطاع من الرأى العام الداخلي للعدو في حين تبذل الجهود ـ اذا كان ذلك ممكنا ـ لاثارة هذا الجزء أو ذلك من الرأى العام العالمي ، لخلق ائتلاف معنوى حقيقي يمكن عن طريقه اجتذاب المتعاطفين السذج الذين تغريهم الحجج التي تتفق مع آرائهم السالفة . ويمكن استغلال هذا الجو داخل الأمم المتحدة مثلا أو في اجتماعات دولية أخرى ، ولكنه يمكن استخدامه على وجه الخصوص بمثابة تهديد يهدف الى منع العدو من القيام بهذا العمل أو بذاك . ويمكن استخدام التدخل غير المباشر ـ في شكل تهديد أو تنفيذ ـ وذلك عن طريق ارسال الأسلحة والخبراء والمتطوعين . ويمكن اذا دعت الضرورة اللجوء الى التهديد وذلك بشن العمليات الانتقامية ، السياسية والاقتصادية ، وأخيرا التهديد بالتدخل المباشر وحتى بوساطة الأسلحة الذرية . ويتبين المرء في هذه القائمة ـ والتي لا تعتبر قائمة نهائية ـ صفات مميزة للأحداث التي وقعت مؤخرا .

ولكن مجموعة وسائل الردع هذه لا يمكن استخدامها بفعالية الا اذا تحقق

شرطان : أولا : أن تشكل القوة العسكرية للردع (نووية أو تقليدية) تهديدا شاملا كافيا لشل ردود الفعل وثانيا : أن تنخرط مجموعة العمليات المقررة فى خط سياسى اختير بعناية لتكوين كل متماسك ، فمثلا عندما تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية الليبرالية فى كوبا ، حتى بطريقة غير مباشرة ، كما حدث فى عملية خليج الخنازير فقد ارتكبت نشازا سيكولوجيا لم يكن خطرا فى ميدان الاستراتيجية المباشرة (خاصة وانها كانت عملية مظفرة) ولكن كلفتها غاليا جدا فى ميدان الاستراتيجية غير المباشرة ، وعندما عمدت فرنسا على انهاء استعمارها فى افريقيا السوداء وقامت بالجلاء بارادتها عن المغرب وتونس ، ارتكبت بدورها نشازا بتمسكها بالجزائر · ان اختيار هذا الخط السياسى يشكل قرارا رئيسيا لنجاح المناورة ·

ومن غريب الأمور أنه لوحظ فى هذا الصدد أن فى الامكان فى الميدان السيكولوجى الاستيلاء على مواقع ذات صيغة تجريدية كما يحدث فى الحرب العسكرية عندما يتم الاستيلاء على موقع جغرافى ويمنع العدو من الوصول اليه· وقد نجح السوفيت بهذه الطريقة فى جعل الناس يعترفون بأن الستار الحديدى يعد بمثابة عقبة سياسية عازلة فى اتجاه من الغرب الى الشرق فى حين أنها غير عازلة فى الاتجاه من الشرق الى الغرب ، ووضعوا يدهم علىقاعدة السلام التى تتمثل فى رفض الأسلحة الذرية (التى عملوا ـ مع ذلك ـ على تطويرها) ومعاداة الاستعمار فى الوقت الذى يمتلكون فيه الامبراطورية الاستعمارية الوحيدة التى مازالت قائمة · ان تحليل هذه الظاهرة التى لا يرقى اليها الشك يدخل فى اطار التكتيك السيكولوجى ولن نقوم به فى هذا الكتاب · وعلينا على الأقل أن نلاحظ فى سياق الكلام أن هذه المكاسب تعتمد بوجه عام على المبادىء التى يعترف بها أعداؤهم · وكهذا فليس من المستحيل أن يستطيع الغربيون غزو مواقع عقائدية شيدت على أسس الماركسية وذلك عندما يستطيعون تطبيق حسابات واعية فى استراتيجيتهم غير المباشرة بدل المبادىء القانونية والأخلاقية التى يستخدمها أعداؤهم بفعالية ضدهم فى كل مناسبة ·

ويجب بطبيعة الحال أن يأخذ الخط السياسى فى عين الاعتبار الاتجاهات السيكولوجيه السائدة : الرغبة فى السلام ، ومكافحة الاستعمار ، والرغبة فى رفع مستوى المعيشة ·· الخ ، وكذلك نقاط ضعف العدو ونقاط ضعف الحلفاء التى يراد استغلالها ويؤدى ذلك غالبا الى خوض النزاع بطريقة غير مباشرة وبوساطة أطراف غير الاطراف الحقيقيين · ولا يخدع هذا الوضع أحدا ولكنه جوهرى من وجهة النظر السيكولوجية ، ومما لاشك فيه أن الخط السياسى يجب أيضا أن يتكهن بردود فعل العدو الممكنة والعمل على تجميد ما يمكن أن ينجم عنها من «استعراضات» · وباختصار فان الخط السياسى يجب أن يشكل فكرة المناورة لخطة عمليات سيكولوجية حقيقية مصممة بنفس الدقة التى تصمم بها خطة العمليات فى الاستراتيجية العسكرية ·

مفهوم المناورة الداخلية :

يبقى بعد التأكد من التمتع بامكانية هامش معين من حرية العمل ، تصميم المناورة التى يجب القيام بها فى الحيز الجغرافى حيث يراد الحصول على نتائج معينة · وسنسمى هذه المناورة باسم « المناورة الداخلية » ·

وترجع المشكلة هنا الى ثلاثة متغيرات اضافية رئيسية : القوة المادية ، والقوة المعنوية ، والمدة الزمنية · فاذا كانت القوة المادية متفوقة جدا بالنسبة لقوات العدو فان القوة المعنوية يمكن أن تكون أقل من قوة العدو كما يمكن أن تكون المناورة قصيرة زمنيا · وعلى العكس ، اذا كانت القوة المادية قليلة فيجب تعويضها بقوة معنوية كبيرة جدا ، وفى هذه الحالة ستكون المناورة بطبيعة الحال طويلة . وهكذا يتبلور شكلان على طرفى نقيض للمناورة الاستراتيجية ·

يهدف الشكل الاول الى أن يحقق بسرعة كبيرة بفضل التفوق فى القوات هدفا جزئيا فى ميدان حرية العمل الخارجى التى يتمتع بها الطرف المعنى ثم اعطاء مؤشرات تدل على التوقف قبل القيام بعملية أخرى · وهذه المناورة ذات الاهداف المتعاقبة والمتوضعة نسبيا ، والتى تتخللها المفاوضات هى تلك التى يمكن أن نسميها «مناورة الخرشوف»(١) وقد ضرب هتلر مثلا رائعا لهذه المناورة فى الفترة مابين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٣٩ · واتبع الاتحاد السوفيتى هذه المناورة عدة مرات (تشيكوسلوفاكيا وكوريا) بدرجات متفاوتة من النجاح · وتدخل مختلف الحملات الاستراتيجية فى سيناء بشكلها الدفاعى فى هذه المجموعة ·

أما المناورة الثانية فتهدف الى بلوغ الهدف ـ الذى يعتبر هاما فى بعض الاحيان ليس بوساطة الانتصار العسكرى فى المقام الاول بقدر اطالة مدة النزاع الذى خطط لكى يصبح أكثر فأكثر ، ذا تكاليف باهظة بالنسبة للعدو · وهذه هى المناورة بوساطة الاستنزاف للنزاعات الطويلة الاجل الذى يعتبر ماوتسى تونج مؤسس نظريتها اللامع ومنفذها المظفر · وتعتبر الجزائر هى المثال الحديث لهذه المناورة وربما المثال الاكثر اكتمالا · وتنضوى برلين تحت شكل غامض للغاية لنفس المفهوم ·

وبطبيعة الحال فان جميع الاوضاع الوسيطة تعتبر ممكنة بين هاتين الصيغتين المتناقضتين ، فحرب كوريا التى بدأت تحت شعار الخرشوف انتهت فى شكل الانهاك · والهند الصينية التى كانت تنضوى تحت استراتيجية الاستنزاف كادت تنتهى بالنمط العسكرى من طراز « الخرشوف » ·

المناورة بوساطة الانهاك :

ان مفهوم المناورة بوساطة الانهاك يعد مقيدا للغاية لانه يتميز حقا بالحنق والبراعة · فالامر هنا يهدف الى اجبار عدو يتمتع بقوة أكبر من قوتك على قبول شروط غالبا ماتكون قاسية جدا مع عدم استخدام غير امكانيات محدودة جدا ضده · وعندئذ تنفذ بحذافيرها صيغة التغيرات الاضافية التى صادفتنا فيما سبق : يجب تعويض ضعف القوات العسكرية بوساطة تفوق متزايد للقوة المعنوية وذلك بقدر ما تمتد مدة العملية · وهكذا تتطور العملية فى الوقت نفسه فى ميدانين ، الميدان المادى الخاص بالقوات العسكرية والميدان المعنوى للعمل السيكولوجى ·

---

(١) التى يسميها الالمان « سالامى » ·

الميدان المادى :

يجب أولا بالنسبة للميدان المادى ، معرفة كيفية الاستمرار فى القتال • وهذا الهدف الذى يعتبره « ريمون ارون » الهدف النهائى للاستراتيجية(١) هو فى الحقيقة هدف كل مناورة بوساطة الانهاك • فعندما يكون أحد الاطراف يعانى من ضعف كبير فى الامكانيات فانه لايستطيع أن يأمل فى الاستمرار فى البقاء الا اذا رفض النضال واستخدم تكتيك الضربات المتفرقة للابقاء على استمرار النزاع • ويؤدى ذلك الى حرب العصابات ، وهى حرب قديمة قدم العالم نفسه ، ومع ذلك أسدل عليها ستار النسيان ثم أعيد تقنينها عند ظهور كل جيل جديد • ولكن هذا التكتيك صيغ منذ أربعين سنة فى اطار مجموعة قواعد استراتيجية هامة جدا(٢) تسمح باتمام هذه العمليات تبعا لمفاهيم منطقية تزيد من فعاليتها بدرجة كبيرة وبالتالى تؤدى الى نقصان عدم توازن القوى المادية بدرجة كبيرة كذلك • ويحدد ماوتسى تونج جوهر حرب العصابات بسبع قواعد : اتفاق وثيق بين السكان والمقاتلين ، والتراجع أمام زحف قوى العدو ، وتوجيه الضربات والهجوم أثناء انسحاب العدو واستراتيجية (١) ضد (٥) ، وتكتيك (٥) ضد (١) بفضل مايسميه بالتراجع صوب المركز أى حشد القوات أثناء الانسحاب (لقد كان يملك مساحات شاسعة فى الصين) وأخيرا الامدادات والتموين والتسليح بفضل الغنائم التى يتم الاستيلاء عليها من العدو • وتشكل هذه القواعد السبع الحد الادنى الضرورى لهذا الشكل من أشكال الحرب وهو حد أدنى يتغاضى عنه أحيانا كما حدث مثلا عندما ادعت منظمة الجيش السرى الفرنسى اقامة أحياء أو مقاطعات للسكان العرب أو عندما قبل الامركيون فكرة انزال القوات فى كوبا فى شكل رأس جسر تقيدى •

وقد صيغ فيما وراء هذا الحد الادنى مفهومان رئيسيان لضمان حرية عمل الرجال القائمين بحرب العصابات • والمفهوم الاول هو مفهوم من أصل سوفيتى ولكن بدأ الايرلنديون فى تطبيقه وهو يهدف الى منع عمليات القمع باقناع السكان بتقديم البيانات للعدو عن طريق الارهاب المنظم • وقد شاهدنا فى الهند الصينية والجزائر فعالية هذه الطريقة التى لم تثر فظاعتها حفيظة الرأى العام العالمى أما المفهوم الثانى الذى شرحه بالتفصيل لورانس بصدد حديثه عن المدنية فيرتكز على مبدأ نشر تهديد حرب العصابات الى أقصى حد ممكن دون دفع العدو الى التراجع بطريقة تجعله يواجه مشكلة حماية نفسه فى ظروف أكثر صعوبة • ويدفع تطبيق هذا المفهوم الاخير العدو الى انفاق قدر أكبر من قوته للحفاظ على عدد متزايد من النقط وهو أمر يمكن الى حد كبير أن يغير من التوازن العملى للقوات المتواجهة• وهكذا كان هناك فى الجزائر أكثر من ٣٠٠ ألف جندى فى حالة تأهب دائم لمواجهة أقل من ٣٠ ألف شخص •

وأخيرا فان قوات حرب العصابات الذى يعد استنزافها من الامور الصعبة للغلبة يجب رعايتها وتطويرها باستمرار حتى يظل الضغط متزايدا • ويحتم ذلك

---

(١) أنظر الفصل المعنون : الاستمرار فى البقاء يستلزم تحقيق النصر ، فى كتاب الحرب والسلام بين الامم لريمون آرون ، دار نشر كالمان ليفى ١٩١٢ •

(٢) قام بصياغتها كل من الكولونيل لورانس وماوتسى تونج وكذلك التنظيمات السوفيتية •

نظاما أوليا لتهريب السلاح (أو اسقاط السلاح بوساطة المظلات كما حدث في فرنسا عام ١٩٤٤) ثم اقامة – عندما يصبح ذلك ممكنا – قواعد قريبة من الاراضي المهاجمة التي يمكن حماية أمنها بوساطة امكانيات ردع المناورة الخارجية. وكان هذا هو دور قواعد الصين في حرب الهند الصينية ثم قواعد مصر أولا ثم تونس والمغرب في حرب الجزائر ، وقواعد الكونغو البلجيكي السابق بالنسبة لانجولا البرتغالية ٠٠٠٠ الخ . وقد رأى بعض الكتاب أن هذه القواعد تعد العامل الحاسم لهذا النوع من الحروب ٠ واذا لم يكن هذا العامل حاسما فانه بالتأكيد هام للغاية لانه يمكن ملاحظة أن حرب العصابات التي فشلت في كينيا وماليزيا كانت تلك التي وجدت نفسها معزولة وتضفي هذه النقطة الاخيرة على المناورة الخارجية أهمية عملية جوهرية تضاف الى ماسبق ذكره عن دورها الرئيسي في ميدان حرية العمل الشاملة ٠

الميدان السيكولوجي :

الفكرة العامة في الميدان السيكولوجي هي بدورها فكرة استمرار البقاء ٠ ومن الضروري من أجل ذلك تطوير القوى المعنوية للمقاتلين والسكان وابقائها عند مستوى مرتفع وهكذا فان العامل المعنوي يعد جوهريا ٠ ويجب العمل بانتظام على دفع العدو للاستسلام نتيجة للانهاك ٠ وهنا كذلك سيكون العمل السيكولوجي جوهريا لاستغلال النتائج التي تم الحصول عليها ، في هذا الاتجاه ٠

ويرتكز هذا العمل السيكولوجي المعقد طالما أنه يوجد في الوقت نفسه للمقاتلين السكان ، الاصدقاء والاعداء ، على عاملن رئيسيين : الخط السياسي الرئيسي واختيار التكتيك السيكولوجي ٠

يجب أن يأخذ الخط السياسي الرئيسي الذي عليه أن يكون منسجما مع الخط السكان ، الاصدقاء والاعداء ، على عاملين رئيسيين : الخط السياسي الرئيسي للشعب الذي يراد اثارته ، من أجل النضال ومن ناحية أخرى يجب بلورة هذه العواطف (الوطنية ، الدينية ، الاجتماعية ٠٠٠ الخ) تبعا لاتجاه يبرز عدالة القضية التي يراد مناصرتها ٠ وكذلك يجب أن يبدو نجاح القضية أكيدا لا كما حدث عام ١٩٤٠ « لاننا الجانب الاقوى » – وهو أمر ليس صحيحا أبدا في البداية في مثل هذه الحروب – بل لان الله (أو قوى تاريخية غامضة) معنا » ٠ وهكذا فان التحديد التاريخي بتوجيهه التاريخ في الاتجاه المرجو ، يحل محل الصور المقدسة أو الرؤى التي كانت تثير حمية الصليبيين ويخلق شكلا من التواكل المتفائل – وفي المقابل تواكل متشائم لدى العدو – ينتمي الى تواكل المسلمين الذين كانوا على التوالي غزاة ومستعبدين ٠

ولهذه النقطة الاخيرة أهميتها الخاصة لاننا لم نقدر التقدير الصحيح الدور الذي لعبه الشعور لدى الشعوب المستعبدة التي شاء القدر أن تكون المتحكمين في مستقبلها أثناء غزو الجنس الابيض السريع للعالم وقد كذبت الهزائم التي حاقت بالغرب في الجزء الاول من الحرب العالمية الثانية ٠ هذه التكهنات فلقد أريق ماء وجوهنا وراحت القوى التي كانت تعمل لصالحنا تمارس الآن ضدنا ٠

وتتضمن التكتيكات السيكولوجية ، بطبيعة الحال ، استخدام تكتيك الدعاية وبث التعاليم ، وتنظيم السكان بوساطة اطارات تتم مراقبتها بعناية ، وهو تكتيك

معروف اليوم جيدا · من الضرورى أن ندرك أن الانتصارات الوحيدة فى هذا النوع من الحروب هى انتصارات سيكولوجية وبالتالى فان جميع الاعمال المادية ليست لها أهمية الا اذا كانت تهدف لرفع معنويات وعظمة المقاتلين أو السكان · ولهذا فانه يجب قيادة حرب العصابات فى غالبية الاحوال فى هذا الاتجاه · ومن ناحية أخرى اذ لم تتحقق انتصارات أو كانت ضئيلة القيمة فانه يمكن تعويضها بوساطة الخداع أو حتى الكذب التام (مثل الدفاع البطولى عن بور سعيد – اغراق الفيتناميين اسوفرنت والمصريين لجان بارت – نزول القوات المصرية فى منطقة القبائل ··· الخ) وفى نفس الاتجاه كذلك يسمح فيض الانباء المثيرة كما تعودت أن تفعل الصحافة الغربية للعدو بمضاعفة الاثر النفسى لعملياته المتواضعة المتكررة · ويمكن أن نلاحظ ، هنا كذلك ، أنه اذا كان الخط السياسى يجب أن يعكس شكلا من الوحدة الصارمة فان الدعاية يمكن أن تتباين تماما فى الميدان الخارجى والداخلى

وبفضل المناورات الخارجية والداخلية المتناسقة تماما فان النزاع المحدود فى بادىء الامر سيثبت ثم يتطور ويستمر · واذا أنتجت المناورة الخارجية الحد الادنى الضرورى من الردع واذا لم يقض على المناورة الداخلية فى بدايتها فستكون هناك خير الاحتمالات للوصول الى النصر ، بل يمكن الوصول الى تخلى العدو عن القتال (تونس ، المغرب ، الجزائر) · واذا لم تنجح المناورة الخارجية فى منع تدخل دول أخرى فيمكن التوصل الى حل وسط فى شكل تقسيم (اسرائيل – الهند الصينية) واذا لم تنجح المناورة الخارجية فى تغذية العمل الداخلى بدرجة كافية واذا استمر العدو فى المقاومة فان الطرف المعنى يسير حتما صوب الفشل (كينيا ، ماليزيا) · ولكن البذور التى زرعت أثناء النضال سوف تنمو فيما بعد ونكون على أقل تقدير قد فرضنا على العدو بذل الجهود الضخمة بامكانيات ضئيلة ·

وتبرز الملاحظة الاخيرة أهمية المناورة بوساطة الانهاك · فهى فى حالة تنفيذها بدقة وتخطيطها بالمنطق البحت ، لا تتضمن غير حد أدنى من المخاطر فى حين أن نتائجها الممكنة تعد هامة جدا وأنه حتى ، فى حالة الفشل ، نكون قد أنكهنا العدو دون أن ننهك أنفسنا · لقد تكهنت منذ ٢٢ سنة اعتمادا على المثال الهتلرى أن هذا النمط من أنماط النزاع لابد أن يتطور فى المستقبل · وقد تعدت الحقائق تكهناتى وأنا أعتقد اليوم أن هذا النوع من الحروب سيزداد انتشارا ، فى ظل السلاح الذرى الى أن تنظم « استعراضات » فعالة تخلق فى هذا الميدان امكانيات للردع ، نملكها فى الميادين الاخرى وسوف ندرس هذه المشكلة فيما بعد ، بعد دراسة مناورة « الخرشوف » ·

مناورة الخرشوف :

تتسم مناورة الخرشوف ببساطة أكثر لانها تعتمد فى مرحلة تنفيذها الداخلى على حسابات الاستراتيجية العسكرية · وعلى العكس فان المناورة الخارجية تلعب فيها دورا على نفس الدرجة من الاهمية كما فى المناورة بوساطة الانهاك · وقد رأينا ذلك فى السويس وسيناء حيث لم يكن للانتصارات العسكرية أى تأثير على الفشل النهائى للعملية التى كانت «تغطيتها» الخارجية معدومة عمليا ·

ولكن هذا لايعنى أن الاستراتيجية العسكرية لمناورة الخرشوف لا تتضمن أعباء

خاصة · وتنبع هذه الأعباء من أن هامش حـــرية العمل الذى تتمتع به هـذه الاستراتيجية دائما ضيق ، وأنه حتى اذا خططت المناورة الخارجية تخطيطا جيدا فانها يمكن أن تفشل أو يتم التصاعد الى أقصى المســتويات اذا نجحت بسرعة وعن طريق المفاجأة فى خلق أمر واقع لاجدال فيه يمكن أن يكون أساسا لمفاوضات لاحقة ويرجع الفشل السوفيتى لكوريا الى أن العملية لم تبلغ نهايتهـــا بسرعة وتجمدت فى حملة طويلة الأجل واذا لم يقم رأس الجسر فى « فوزان » فانه لم يكن من الممكن القيام بالهجوم المضاد فى « انشون » ولا بأى تدخل أمريكى فيما بعد · وكانت الخطة السوفيتية تنقصها السرعة والقوة · ولقد كان من غـــير المعقول كذلك بالنسبة لعملية السويس الادعاء بالقيـــام بعملية جوية سيكولوجية لمدة عشرة أيام قبل انزال القوات ، فان ذلك يعنى ترك الحرية للعدو لخلق الأمر الواقع فى صالحه قبل انزال هذه القوات · وعلى العكس فان استيلاء هتلر على الضفة الشمالية للراين فى النمسا ثم فى تشـــيكوسلوفاكيا ، ثم فى كل مرة فى خلال ٤٨ ساعة الأمر الذى يتفق مع الوقت الأدنى لردود فعل السياسة الدولية · وهكذا يجب تخطيط العملية الداخلية على أنها ضرب قوية عمادها المفاجأة والسرعة والعمليات السريعة الموجهة من القوى ضد الضعيف والتى يتم اســـتغلالها بالقوة وفى الحال · وهذا اذن هو ميـــدان العمليات المحمـــولة بالطائرات والميكانيـكية والمدرعة · ولا تعتمد هذه السرعة ـ بطبيعة الحـــال ـ على التكهنات السابقـة والتنفيذ الدقيق فقط ، بل كذلك على استعدادات كامـــلة فى جميع الميادين · فلا يمكن ارتجال مثل هذه العملية ·

وأخيرا اذا كانت حرية العمل التى تتيحها المناورة الخارجية هى شرط النجاح نفسه فهناك شرط خارجى آخر لاغنى عنه كذلك لأن الهدف يبدو محدودا بما فيه الكفاية · لكى يقبله الرأى العام الدولى · ولقد نجح هتلر بدرجة كافية فى ابراز كل هدف من أهدافه المتتابعة على أنه الهدف الوحيـــد والأخير · ولقد نجح مخططه ثلاث مرات (حتى ميونخ) ولكن أحدا بعد براج لم تخدعه استراتيجية الخرشوف فورقة الخرشوف التالية وهى بولنـــدا أحدثت التصـــاعد الى أقصى المستويات العالمية الثانية مع أن عددا من النـــاس فى الغرب اعتقـدوا ـ مرة أخرى ـ فى مرحلة جديدة محدودة · وهذا يبين حدود هـذه الاستراتيجية التى لا يمكن استخدامها لبلوغ أهداف بالغة الأهميـــة بوساطة قفزات متتابعة الا اذا أمكن نشرها على فترة زمنية طويلة جدا ويجب أن نقول كذلك أنها بسبب طابعها العنيف والمثير تعد أخطر تنفيذا من المناورة بوساطة الانهـاك · ولكنها تظل فى بعض الحالات الخاصة والمحدودة تماما ممكنة ، وربما ذات فعالية كبيرة وخاصة كما فعلت اسرائيل أكثر من مرة حيث تضمنت طابع « الفرملة » ·

الاستعراضات الاستراتيجية غير المباشرة :

منذ عام ١٩٣٥ والاستراتيجية غير المباشرة تستخدم استخداما مستمر ولاتحرز غير الانتصارات · ولقد اتخذت مع هتلر فى الفترة ما بين عام ١٩٣٦ وعام١٩٣٩ طابع ما أسميناه باستراتيجية الخرشوف · ودخلت الاستراتيجية غير المباشرة بعد مرحلة الاستراتيجية المباشرة من عام ١٩٣٩ الى عام ١٩٤٥ مرحلة الازدهار تحت نفوذ السوفيت بوجه العموم ولكن فى هذه المرة وبدرجة أكبر فى الشكل الخاص باستراتيجية الانهاك ·

ويرجع هذا الشيوع الطويل الأمد والمتزايد فيما يبدو الى ظروف الحرب الحديثة

فمنذ عام ١٩١٨ وخاصة منذ « هيروشيما » بالذات بات الجميع يعتقدون بسوء عاقبة الحرب الشاملة ويريدون جميعا تجنبها · ولكن هؤلاء الذين ترمى سياستهم الى تغيير الوضع القائم لازالوا يستخدمون القوة لبلوغ أهدافهم · ويؤدى ذلك بالضرورة الى المخطط غير المحدد للاستراتيجية غير المباشرة التى يطبقها كل ممثل من الممثلين الكبار حسب مزاجه ، فهتلر بوساطة تعاقب سريع للمكر تارة والعنف تارة أخرى ، والسوفيت بوساطة عمل تخريبى يتسم بالصبر والاناة والتدرج تصاحبه تهديدات خفية ·

يثير الطابع الجديد لهذا الشكل القديم جدا للاستراتيجية (فحرب مائة العام لم تكن حرب عصابات طويلة كان فصلها الأخير هو معجزة جان دارك السيكولوجية الدهشة كما يولد الحيرة فى النفوس · لقد كان هناك نتيجة لتأثير المذاهب الراديكالية للقرن التاسع ايمان بالتمييز المطلق بين الحرب والسلام ، ولم ينظر عادة للاستراتيجية غير المباشرة الا على أنها مخطط ينتمى الى السياسة · ولما كان التفكير ينصب على الحرب الكبرى ولا شىء غيرها فقد ترك هتلر لحاله خلال أربع سنوات ثم اندلعت الحرب العظمى حيث نجم عنها انهيار أوروبا وذلك دون أن يدرك فى الوقت المناسب أن فى الامكان هزيمته بالوسائل التى يستخدمها · وفى عام ١٩٤٦ عندما بدا أن الزحف الستالينى بدا يجدد التهديد ردت الولايات المتحدة باستراتيجية تنتمى بعض عناصرها للاستراتيجية غير المباشرة · خاصة مشروع مارشال ولكنها وجهت عن وعى جهودها على الاستراتيجية المباشرة التى ترتكز على السلاح الذرى ، وأدى هذا الأخير الى استراتيجية الردع التى كان نتيجتها دفع السوفيت وغيرهم الى تطوير مناورات استراتيجيتهم غير المباشرة أكثر فأكثر · ان تطور هذه المناورة يعتبر مثيرا ، فبعد أن تجمد نشاطهم فى ايران عام ١٩٤٦ راحوا يمارسونه فى اليونان حيث تم استبعادهم منه فى عام ١٩٥٠ · ثم توالت انتصاراتهم عام ١٩٤٨ فى الصين ، عام ١٩٤٩ فى براج ، عام ١٩٥٠ فى كوريا والتدخل فى الهند الصينية · وتم التغلغل غير المباشر فى الشرق الأوسط فى عام ١٩٥٣ـ١٩٥٤ · وثارت القلاقل فى شمال افريقيا فى عام ١٩٥٤ ، ثم فى كوريا فى عام ١٩٥٩ ، والكونغو فى عام ١٩٦٠ ، وأنجولا فى عام ١٩٦١ ، فى حين ظلت ألمانيا تحت الضغوط المتتابعة التى تمارس فى برلين وأحرز الاتحاد السوفيتى سلسلة من النجاحات غير المتساوية فى خلال خمس عشرة سنة نتائج لم يكن فى مقدوره أن يحققها بوساطة انتصار كبير ·

وكانت ردود الفعل الغربية أمام هذا الوضع مفككة وغير مناسبة فى أغلب الأحيان لأن المشكلة لم ينظر اليها كما هى عليه فى الواقع ، كما أن العلاج المتبع لم يكن له غير مفعول جزئى ، ان لم يكن قد سهل من أمر مناورة العدو · ولهذا فمن الأمور الجوهرية ادراك حقيقة الصفات الموضوعية للاستراتيجية غير المباشرة والعمل على ضوء هذه الصفات ·

اننا لا نهدف هنا بالتأكيد الى اعطاء الحل الكامل لمشكلة « الاستعراضات التى يجب أن تواجه بها الاستراتيجية غير المباشرة ، ولكننا نريد على الأقل أن نبين ما هى الأخطار العامة التى تسمح ببلورة الاجابات الحاسمة للتحديات التى تواجهنا بها سنوات السلام الغريبة والتى لم تفعل خلالها غير الاستسلام بدرجة أو بأخرى · وأريد ألا يرى القارىء فيما سيأتى من تحليل سوى محاولة وعرض تقريبى للحلول التى توحى بها تجاربنا الحديثة ·

المناورة الخارجية المضادة :

يجب فى ميدان الاستراتيجية أكثر من أى ميدان آخر معرفة التمييز بين ما هو جوهرى وما هو ثانوى · ان الشىء الجـــوهرى فى الاستراتيجية المبـاشرة هو القوة أى الامكانيات المادية التى تتيح أهميتها الحصول ، بسهولة تتفاوت درجتها، على حرية العمل ويصب الاهتمام بالنسبة للاستراتيجية غير المبـاشرة حيث الشىء الجوهرى يخص كذلك البحث عن حرية العمل على الوسائل غـير المباشرة الكفيلة بأمين هذه الأخيرة ، وبالتالى على المناورة الخارجية المضادة فى المقـام الأول · وتظل هذه الاخيرة بالتأكيد خاضعة للردع الشامل الذى تحققه الاستراتيجية المباشرة، ولهذا فان الجهود فى هذا الميدان يجب أن تبذل باستمرار · ولكن اذا اكتفى بهذه الجهود ـ كما تنادى به بعض وجهات النظر الأمريكية ـ فاننا نترك للعدو حرية العمل الكاملة فى ميدان الاستراتيجية غير المبـــاشرة · وعلى العكس اذا نجحت المناورة المضادة تماما فان جميع مشكلات الاستراتيجية غير المباشرة ، ستجد لها حلا · وهنا اذن تقبع النقطة الجوهرية ويجب أن تبذل الجهود فى المقام الأول ·

تعمد المناورة الخارجية المضادة الى تحقيق أكبر قدر من عمليات الردع الاضافية التى تدخل فى اطار الردع النووى الشامل · ويمكن أن يتم اختيار عمليات الردع هذه كما رأينا بالنسبة للمناورة الخارجية ابتـــداء من نقاط ضعف نظام العدو (الرأى العام الداخلى ـ الاقتصاد ـ موقف الدول المنحازة والحلفاء المعنويين ـ التعاليم المقدسة للسيكولوجية الماركسية ـ أو للاسلام أو الجنس الأسود ·· الخ) ومن هنا يجب أن يستنتج الخط السياسى الذى يعمل على تحديد المواقع العقائدية والجغرافية التى يجب الدفاع عنها وتلك التى يراد تهـــديدها · ويجب معرفة أن الخط السياسى ذا الطابع الدفاعى البحت ليس له سوى أهمية ردع ضعيفة لأن مفتاح الردع يكمن فى المقدرة على التهديد · ولهذا فلابد من خط سياسى هجومى ·

يستلزم الخط السياسى الهجومى فى الميدان الايديولوجى ضرورة امكانية استغلال نقاط ضعف نظام العدو الايديولوجى · ولهذا يجب العمل ابتداء من نقاط الضعف هذه ليس ابتداء من مفاهيمنا الأخلاقية أو الفلسفية ، ومن ناحية أخرى يجب أن يخطط نظامنا الهجومى تبعا لحاجيات هؤلاء الذين نريد اقناعهم لا حاجياتنـــا نحن · وعلى سبيل المثال فانه تنقصنا تماما « قوة الردع » السـكولوجية التى تكون مجموعة أفكار ذات نزعـــة ليبيرالية تتفق تمـــاما مع المتطلبات العـــاجلة (الاقتصادية ـ التنظيم الاجتماعى ـ التـكوين السياسى) للدول الفتية بالعـالم الثالث · ويجب أن نعترف بأن مفاهيمنا فى حاجة ماسة لاعادة صياغة بطريقـة حديثة حتى تصبح أكثر تماسكا ويمكن أن تتمشى مع حقـائق عصرنا (الاقتصاد الموجه ـ القوانين الاجتماعية ·· الخ) ·

العنصر الأساسى فى عمليات الردع فى الميدان السيكولوجى يكمن فى اعادة بناء عظمة الحضارة الغربية · ومن المعروف أن « العظمـــة » هى ناتج معقد للقوة والفعالية المتاحتين أو اللتين يمكن أن تسندا اليك فى المستقبل وقد بدا أن تدهور الغرب الذى نجم من انقساماته العمياء قد تأكد بعدم قدرته على الظهور بمظهر الجبهة الموحدة · ويقبع العنصر الأول للعظمة التى يجب اعادة بنائها فى معرفة اقناع الغرب بضرورة القيام بمناورة شاملة متناسقة تماما وبالتالى انتهاج سياسة مشتركة · وهذا يعتبر مستحيلا فى ظل نظام لا يتضمن الا منظمة الأطلنطى ذات الأهداف العسكرية الخالصة ، من ناحيـــة ، ومن ناحية أخرى الأمم المتحدة التى ليست فى واقعها غير أداة تعكس أصداء النضال الدولى من ناحية أخرى · ومن

الضرورى جدا اقامة منظمة غربية مهمتها تصميم الاستراتيجية الكلية · وأن مقترحات كتلك التى تقدمت بها فرنسا (دراسات كلية تقدم بها الدول الكبرى ، دراسات اقليمية تقوم بها الدول المعنية) يمكن أن تؤدى الى هذه النتيجة ولكن يجب أن نتأكد على أية حال ، انه اذا لم تنجح فى التغلب على الصعاب الحقيقية الموجودة فى هذا الميدان فستكون عاجزين عن تحقيق النصر · والعامل الثانى « للعظمة » التى لابد من وجودها يكمن فى اعادة الثقة الدولية فى مستقبل حضارتنا· ويمكن استخدام الانجازات الاقتصادية العظيمة التى حققتها أوروبا خلال السنوات الأخيرة بفعالية أكبر لتحقيق هذا الغرض · ولكن تملك مذهب ديناميكى وبالتالى ذى صيغة حديثة يمكنه على وجه الخصوص تحقيق هذه النتيجة· وأخيرا فان العظمة تنجم عن الخوف الذى نثيره فى الآخرين · وتلعب « الكرامة » دورا بالغ الأهمية على وجه الخصوص بالنسبة للدول الفتية ، وهذا يعنى أنه لا يجب فقدان ماء الوجه أكثر من ذلك (السويس ، كوبا ، الخنازير ·· الخ) ومحاولة دعم الكرامة عن طريق انجازات مثالية مختارة اختيارا دقيقا تبعا لبرنامج مخطط تخطيطا دقيقا · وقد أبرزت أزمة كوبا فى خريف عام ١٩٦٢ فعالية مثل هذا السلوك ·

ويجب من وجهة النظر الجغرافية ، اختيار المناطق التى نريد أن نبذل فيها جهودا بهدف الدفاع أو التهديد أو الهجوم · ويجب أن ينصب هذا الاختيار ، من ناحية على مناطق تتضمن نقاطنا الحساسة ، ومن ناحية أخرى على تلك التى تهدد نقاط العدو ، واذا أمكن على تلك التى يكون من السهل القيام بعمل فيها · ومهما كان من أمر فيجب اختيار المناطق التى تكون مراكز عمليات يمكن أن تنجم عنها تطورات لاحقة (كوبا) وتجنب التورط فى مناطق يمكن للعدو أن يطور فيها جهوده بأقل ثمن ممكن ويجبرنا على انفاق امكانيات ضخمة (جنوب شرقى آسيا·) ويجب حتى اذا صادفتنا العقبات اعطاء أولوية للقضاء على القواعد الخارجية التى تسمح للعدو بالقيام بعملياته العدوانية غير المباشرة ·

المناورة الداخلية المضادة :

ويمكن أن يتخذ الرد ، فى المكان الذى تقع فيه هذه الاعتداءات ، أشكالا مختلفة جدا واذا كان الأمر يعنى عدوانا عنيفا من طراز احدى مراحل « استراتيجية الخرشوف » فيجب امتلاك قوات تكتيكية لتفادى قيام الأمر الواقع بسرعة ·

وتواجد هذه القوات يكفى عادة لاحداث الردع الفعال · واذا كنا ، على العكس ، لا نملك فى المكان المعنى الامكانيات الضرورية فسنكون مجبرين على الالتجاء الى المناورة الخارجية وقد بينت حملة السويس ـ سيناء أنه مع معتدين يتصفون بالتردد بعض الشىء ، فان المناورة الخارجية يمكنها أن تلغى الانتصارات المحلية · ولكن يمكن للتدخل السريع ـ كتدخل الأمريكيين فى كوبا ـ أن يمنع حدوث نتيجة محلية وبالتالى العمل على فشل كل مناورة للعدو · وهذا يبرز كل أهمية قوات التدخل سريعة الحركة فى ميدان الاقناع ·

واذا كان الأمر يعنى عدوانا غير مباشر من طراز « استراتيجية الانهاك » فيمكن التردد فى اختيار عدة حلول · وخير هذه الحلول ـ اذا كان ذلك ممكنا ـ تهدف الى حماية ما هو حيوى (أى الاشراف الحكومى) دون الالتجاء الى امكانيات كبيرة والعمل على حل النزاع « بخنقه » بوساطة مناورة خارجية على درجة

كافية من الفعالية · وعلى العكس اذا فشلت المناورة الخارجية (وضع فرنسا فى الجزائر) فيجب الالتجاء الى مناورة داخلية تهدف الى حدوث هجوم مضاد مباشر·

وهنا كذلك يعد الخط السياسى الذى يهدف الى انقاص فرص العدو ، العامل الأساسى ويجب – اذن – من ناحية العمل الابقاء على « العظمة » ودعمها عن طريق استعراض القوة من غير شك ، ولكن كذلك عن طريق اقناع العدو بامكانياتنا المستقبلة (مدنية فى تقدم مستمر – مساندة دولية ·· الخ) ثم العمل ، من ناحية أخرى على تجريد طلبات العدو من قيمتها بوساطة القيام باصلاحيات عميقة الجذور ·

ومن الضرورى فى الميدان العسكرى العمل على ابطال مفعول استراتيجية حرب العصابات بالشكل الذى شرحناه آنفا : فيجب أولا ، تفادى الخضوع لمفعول المناورة السطحية وذلك بالاقتصاد التام فى استخدام القوات ، الأمر الذى يشل « مناورة المدينة » ويؤدى ذلك الى الحد من الحماية العامة للأشخاص والممتلكات بفضل الاحتلال « الكثيف » لمناطق محدودة الاتساع ومختارة بدقة نظرا لأهميتها السياسية والاقتصادية وقبول درجة من عدم الامن بالنسبة لبقية أجزاء البلاد . ولن يكون للمراكز التى ستترك فى هذه الأجزاء من هدف سوى الابقاء على نظام للاستخبارات يمكن بفضله شن مجموعة من العمليات تهدف الى الحيلولة دون قيام قواعد للعدو · ويمكن فى بعض الحالات ترك الفرصة للعدو يقيم منشآته بحرية حتى يمكن هدمها بسهولة · ويجب فى الوقت نفسه أن تظل الحدود مغلقة باحكام بفضل تطبيق نظام السدود كما حدث فى حروب ليبيا (الايطالية الفاشية) والجزائر · وحتى يمكن اذا نفذت هذه العمليات بدقة كبيرة فانها تتطلب امكانيات كبيرة جدا · وهذه هى نقطة ضعفها الكبرى بالنسبة لحرب طويلة بالضرورة · ولهذا يجب على الاستراتيجية أن تبحث عن حلول اقتصادية فى حين يجب على التنظيم أن يجد صيغا (تغيير القوات ·· الخ) تختار للمدى الطويل·ويمكن فى ظل ظروف مواتية بدرجة استثنائية محاولة الوصول الى النتيجة (المرجوة) باستخدام امكانيات ضخمة بشرط تبلور النتائج بسرعة · واذا لم يكن الوضع كذلك (الجزائر عام ١٩٥٦) فاننا لن نفعل غير أضعاف طاقاتنا نفسها فى الاستمرار (فى القتال) وبالتالى اتاحة الفرصة أمام مناورة العدو « عن طريق الانهاك » ·

وأخيرا ، يجب أن يكون الشاغل الدائم فى تنفيذ العمليات هو الحصول على تأثير سيكلوجى على العدو وعلى السكان · ولما كان هؤلاء يتمتعون بحماية كاملة فى المناطق ذات الاحتلال « الكثيف » فيمكن مقارنة مصيرهم الذى يحسدون عليه بمصير السكان فى المناطق التى يتحكم فيها العدو بدرجة أو بأخرى ولا يجب لأى سبب من الأسباب أن تحد(١) الأجزاء المحمية ، التى أصبحت مناطق لجوء بطريقة تبعث الثقة فى النفوس ، واذا اتسعت هذه الأجزاء فانه لا يجب بعد ذلك الرجوع عن هذا الوضع ويجب أن تكون المعارك مفيدة من أجل عامل العظمة ، كما يجب أن يخفى(٢) الفشل أو يعوض بانتصارات أكثر أهمية تستغل استغلالا مناسبا ·

---

(١) يحتم ذلك رسم سياسة طويلة الأجل لحجم القوات لا تتضمن حدوث تغيرات فيها ·

(٢) بدل نشر عناوين مثيرة فى الصحف ·

وعلى الرغم من هذه الاحتياطيات التى يبرز تعدادها الكثير من الأخطاء التى تبلورت فى حملة الجزائر على وجه الخصوص ، فانه يجب أن يكون حاضرا فى الأذهان أن هذا النوع من النضال لم يكن مناسبا الا بطريقة استثنائية للدفاع وعندما لا توجد كما سبق أن أشرنا قواعد خارجية يمكنها أن تشد من أزر القائمين على حرب العصابات · ان الرد على الهجوم بوساطة دفاع مباشر فى الاستراتيجية غير المباشرة يعد حلا سيئا مثل الثور الذى يندفع صوب الرداء الأحمر فى حين أنه يجب الاندفاع ثوب مصارع الثيران نفسه أى صوب المناورة الخارجية ·

آراء ختامية حول الاستراتيجية غير المباشرة :

طبقت الاستراتيجية غير المباشرة التى هى « شكل ثانوى من أشكال الحرب الشاملة فى جميع العصور (تماما كما حدث بالنسبة للاستراتيجية المباشرة) · وترجع جوانبها الحديثة وانتشارها الكبير الى أن الحرب العظمى اليوم أصبحت غير علمية منطقيا · ولهذا فان دورها الحقيقى يعد مكملا لدور الاستراتيجية النووية المباشرة : فالاستراتيجية غير المباشرة هى المكمل ، بشكل ما ، لترياق الاستراتيجية النووية وبقدر تطور الاستراتيجية النووية ووصولها الى توازنها غير الثابت الذى يدعم الردع الكلى فسوف تستخدم الاستراتيجية غير المباشرة · وسيصبح السلام أقل « سلاما » أكثر فأكثر وسيأخذ الشكل الذى أسميته عام ١٩٣٩ « بالسلام ـ الحرب » والذى نعرفه منذ ذلك الوقت باسم الحرب الباردة·

وتعتبر الحرب الباردة بالنسبة للحرب الساخنة مثل الطب بالنسبة للجراحة فبدل العمليات الدموية للحرب الساخنة نجد « التهابات » لا تقل خطورة ولكنها ذات تأثير خفى أكثر فتكا · ان العمل الجراحى نادرا ما يكون فعالا بالنسبة لهذه «الالتهابات» ويجب اجراء تطعيم وقائى مضاد للالتهابات كما يجب علاج المرض منذ بدايته · ويصعب جدا فى مدة الحرب المتوطنة ، حيث تشبه الالتهابات السيكولوجية) الالتهابات البيولوجية المسيطرة على الظواهر حتى تبلورت : لقد خضعت ألمانيا فى عام ١٩١٨ الى حد كبير بسبب « الفيروس » البلشفى الذى كانت قد ساهمت فى زرعه فى روسيا منذ سنة مضت · وقد تعدى « أكلان » مكافحة الاستعمار الذى كان السوفيت يقامرون عليه منذ عام ١٩٢١ أحيانا توقعات الاتحاد السوفيتى وأوجد له فى افريقيا مشكلات لم يكن على استعداد لمواجتهتها · وتخالف هذه الحرب الطبية عاداتنا على الرغم من استخدامها منذ آلاف السنين ·

وعلى الرغم من أن هذه الجوانب ذات طبيعة خاصة جدا وأحيانا تبعث على الدهشة فان الاستراتيجية غير المباشرة ليست استراتيجية خاصة تختلف جوهريا عن الاستراتيجية المباشرة · والمفتاح هنا كما فى كل استراتيجية هو حرية العمل· والشىء المختلف هو طريقة الحصول على حرية العمل هذه عن طريق المبادأة والأمن لأن هامش العملية (حرية العمل وبالتالى الأمن) يتوقف على المناورة الخارجية وليس على المناورة الداخلية · وهذه الخاصية هى التى تضفى عليها الطابع غير المباشر ·

ومن هنا المهم ملاحظة أن الأمن سوف يتوقف على عوامل المناورة الخارجية أى على نقاط ضعف الجانبين · فكل نقطة ضعف تمثل كسبا للعدو وكل نقطة ضعف عند العدو هى بمثابة امكانية تهديد بشن عمليات انتقامية ، وهكذا فان دراسة الأمن يجب أن تتم فى هذا الميدان · ولما كانت بعض نقاط الضعف ذات الطابع

النووى تتطلب وقتا طويلا قبل أن تتبلور وتتطور (مؤتمر باكو عام ١٩٢١ ، حركة مكافحة الاستعمار من عام ١٩٥٤ الى عام ١٩٦٠ ، بدات خروبا عام ١٩٥٦ ٠٠٠) فانه يجب أن تنظم الاستعراضات الخاصة بالأمن فى وقت مبكر تماما مثل المبادرات التى تهدف الى مواجهة تهديدات العـــدو أن المخطط الحقيقى للاستراتيجية غير المباشرة يجب أن يتم عند ظهور أعراض المرض ٠ لأنه اذا تم بعد ذلك فان الوقت يكون قد فات ٠

وهكـــذا فان الاستراتيجية غير المباشرة ليست الا تطبيقـــا للصيغة العـــامة للاستراتيجية على قيم متطرفة لبعض التغيرات مثل القوة (فى أقل مستوى لها) والزمن (بعد مدة بدرجة كبيرة) ٠ وفى الحقيقة فان الصيغة العامة للاستراتيجية المبسطة كصيغة « اينشتين » يمكن تقديمها فى شكل المعادلة الآتية :

ا س = كيه ا ف تيه

تمثل فيها (كيه) عامل محدد لحالة خاصة ، (ا ف) القوى المادية ، القوى المعنوية و (تيه) الزمن ٠ وتحتل القوى المادية فى الاستراتيجية المباشرة مكان الصدارة أما العامل فهو أقل أهميـــة ، والعامل (تيه) أقل قصرا نسبيا ٠ والأهمية النسبية للمتغيرات تنعكس فى الاستراتيجية غير المباشرة فالعامل ، يصبح هو العامل الأهم ٠

ففى الواقع يقوم العامل السيكولوجى ـ المتواجد دائما فى كل استراتيجية ـ بدور حاسم فيها ٠ ويقضى الأمر باستبدال القوة المادية غير المتاحة بقوة تنبع من أيديولوجية جيدة البنـــاء ومن قوة تدبيرات تنجم عن حســـاب مخطط ودقيق ٠ وبالجملة فالعقل هو الذى يحل محل القوة وهذا أمر جيد ٠

ولكن يجب ألا ننسى مع ذلك أن وجود أو استخدام القوة يظل ضروريا فى تنفيذ الاستراتيجية غير المباشرة كمـــا فى تنفيذ الاستراتيجية المبـــاشرة ٠ وأن النسب المتواضعة التى تمثلها عادة القوة فى هذه الاستراتيجية لا يجب أن تخدعنا بصدد أهميتها ٠ فالقوة النووية التى تظل خفية فى بادىء الأمر ، ولكن متواجدة دائما ترسم اطار العام وحدود الردع التى يجب أن تتطور فى داخلها الاستراتيجية غير المباشرة ٠ ونجد بعد ذلك أن القوة تعد ضرورية فى الاستراتيجية غـير المباشرة نفسها لاستغلال (أو التهديد باستغلال) المواقف التى تخلقها المناورة السيكولوجية٠ ويبقى ذلك صحيحا حتى اذا لم يتم العمل الا بوساطة عدد من أصحاب الخوذات الزرقاء (قوات الطوارىء الدوليـــة) أو بعض مرتزقى كاتانجا ٠ وهكـذا فان (اف) « القوى المـــادية » يمكن أن تكون صغيرة جدا ولكنهـا لا تلغى أبدا ، فبدون (اف) لا تكون هناك استراتيجية ٠

ويبدو استخدام القوة فى هذا المخطط المرن والذى غالبا ما يبعـد عن الحرب الحقيقية ، يبدو للبعض بمثابة رذيلة ترتكب ضد الفكر ٠ وهذه نظرة خاطئـــة وخطرة فالقوة فى حد ذاتها ليست حسنة ولا سيئة وتتوقف ماهيتها على القضية التى تخدمها وبالتـالى على السياسة التى تطالب باســـتخدامها ٠ ولكن ابداء الأسف لأن القوة تقوم بدور هام فى النزاعات التى تواكب التطور التاريخى يعنى الرغبة فى تجاهل حقيقة الأشياء ٠

ان هذا الاســتخدام للقوة يعتـــبر غالبا من أعمال السياســـة : وهكذا فان الاستراتيجية غير المباشرة كما شرحناها لن تكون بمثـــابة « استراتيجية » بل

« سياسة » أن الخلاف على الكلمات فى حد ذاته ليست له أهمية كبيرة خاصة وأنه من الواضح أن الاستراتيجية غير المباشرة تباشر على مستوى رؤساء الحكومات · ولكن اختيار الكلمات بعكس تفهمنا للظاهرة واعتبار الاستراتيجية غير المباشرة ضربا من ضروب السياسة يعد خلطا خطيرا للأشياء · فالسياسة فى الحقيقة والتى دورها هو تحديد الأهداف وحجم الامكانيات التى يجب تكريسها لبلوغ هذه الأهداف ، عليها أن تقرر ما اذا كان الهدف المراد بلوغه سيتحقق بوسائل الاستراتيجية غير المباشرة أم لا ؟ ولكن توجيه هذه الاستراتيجية لا يدخل مجال السياسة بل هو من صميم الاستراتيجية أى أن استخدام القوة يجب أن يخضع لتدبير مدروس جيدا ·

ولقد أظهر تاريخ السنوات العشر الأخيرة مدى الأخطاء القاتلة التى يمكن أن ترتكب حينما يراد معالجة هذه المشكلات بطريقة جغرافية وتقديرية فى مواجهة أعداء يدركون تمام الادراك ماهية قواعد « اللعبة » علينا أن نتعلم منذ الآن فصاعدا استخدام هذه القواعد كما يفعل أعداؤنا ، بنفس الواقعية وبنفس الذكاء المتيقظ حتى نتفادى الانهيار التدريجى لكل مواقعنا أو الالتجاء اليائس للكوارث التى لا تتوانى الاستراتيجية المباشرة اليوم عن تفجيرها · ولنتعلم الاستمرار فى الحياة « فى سلام » وانقاذ ما بقى لنا من سلام لنتعلم الاستراتيجية غير المباشرة .... !!

الفصل الخامس

ملاحظات ختامية عن الاستراتيجية

يستحق المغلوب المصير الذى آل اليه ، لان هزيمته تنجم دائما عن الاخطاء الفكرية التى ارتكبها ، سواء قبل النزاع أم أثناءه . ان الاستراتيجية لا تعتبر تمرينا من تمارين الفكر بالنسبة لحقائق الحرب ولا طريقة تنطوى على الغرور والتحزلق فى التفكير فى المشكلات المطروحة للبحث . وان الدراسة السريعة السابقة قد أقنعت – كما نأمل – القارىء بعد أن بينت له أن الامر يعنى نمطا من التفكير يجب ، رغم تعقيده أن يكون بمثابة مرشد عملى لتحقيق غايات السياسة على خير وجه وخاصة لتفادى الاخطاء الجسيمة التى يظهر لنا التاريخ الحديث أمثلة عديدة منها .

لقد اخترت فى هذا العرض للاستراتيجية معالجة الموضوع كله من وجهة نظر الاستراتيجية الشاملة ، أى تلك التى تهدف الى توجيه النزاعات العنيفة أو الغادرة والتى تشن فى الوقت نفسه فى مختلف الميادين السياسية ، الاقتصادية ، الديبلوماسية ، والعسكرية ، أى لتى تعكس طابعا كليا . وفى الحقيقة فان الاستراتيجية تصبح عادة غير مفهومة اذا قصرناها على الميدان العسكرى ، لانه فى هذه الحالة سيفلت منها الكثير من العناصر الجوهرية . وهى فى الظروف المواتية أكثر من غيرها (حالة الاستراتيجية النابليونية) نجد التفسير العسكرى البحت غير كامل وبالتالى يدعو للخطأ .

ولم أرد للسبب نفسه تبنى المفهوم المزدوج ، استراتيجية – ديبلوماسية – الذى يرتكز على ريمون آرون(١) مثلا لانه يؤدى الى تقسيم مشكلة واحدة أساسا تقسيما تعسفيا (مشكلة لها أكثر من مكونين) . وانى أفضل بدل هذا التقسيم الافقى بين « السياسة » فى المستوى الاعلى و « الاستراتيجية الشاملة » فى المستوى الأدنى لأننا بذلك نحترم تدرج المشاغل ونبقى على وحدة التفكير الخاص عند كل مستوى .

ولكن بندرج تحت السياسة بطبيعة الحال كل هرم الاستراتيجيات (الاستراتيجية الشاملة فى القمة تجمع مابين مختلف الاستراتيجيات الخاصة بكل ميدان والتى تعمل بدورها على تنسيق استراتجيات العمليات العسكرية التابعة لها) الذى يسيطر على مجموع «التكتيكات» و «التكنيك» . والاستراتيجية العسكرية ليست سوى واحدة من هذه الاستراتيجيات العامة ، وهى تقوم تبعا للحالة بدور رئيسى أو بدور ثانوى بسيط .

رأينا ان العمل الاستراتيجى يمكن أن يتم – كما هى الحال بالنسبة للموسيقى تبعا لطرقيتين أو « نغمتين » . النغمة العالية هى الاستراتيجية المباشرة حيث تمثل

---

(١) الحرب والسلام ضد الأمم السابق الاشارة اليه .

القوة عاملا جوهريا · أما النغمة المنخفضة فهى الاستراتيجية غير المباشرة حيث يبدو أن دور القوة يتلاشى أمام الدور السيكولوجى والتدابير المختلفة ويمكن بطبيعة الحال أن تختلط « النغمتان » بنسب مختلفة لينجم عنها عدد كبير من « النماذج » التى درسنا أهمها ·

والذى يجب أن نعيه هو أن هذه الطرق (النغمات) وهذه « النماذج لاتمثل سوى حلول عديدة فى الصيغة العامة نفسها : فهى تهدف الى تحقيق الهدف نفسه وهو تحقيق النتيجة المرجوة عن طريق استسلام العدو السيكولوجى وهى تستخدم المنهج الذى ينبنى على النضال للحصول على حرية العمل ·

ولكن هذه الحلول تتغير حسب الطرق المستخدمة · فكل منها عبارة « كوكتيل » خاص من الطرق المستخدمة لانها تتمشى بطريقة أفضل مع الامكانيات المتاحة أو نقاط ضعف العدو · وربما يعد اختيار خير هذه الطرق من بين مجموعة هذه الطرق الكبيرة والتى تبدأ من الاقتراح وتمتد حتى التدمير المادى ، هو الجزء الاكثر أهمية من الاستراتيجية · فهو الذى يسمح بمواجهة الاوضاع الاكثر صعوبة وغالبا يمنح الانتصار للجانب الاضعف ·

ان حرية حجر الزاوية فى هذا الاختيار كما فى التنفيذ اللاحق للعمليات هو حرية العمل · ان النضال من أجل حرية العمل هو فى الواقع جوهر الاستراتيجية ونتيجة لذلك فان حماية حرية العمل الخاصة بأحد الاطراف (الأمن) والقدرة على حرمان العدو من حرية العمل الخاصة به (بالمفاجأة أو المبادأة) يعتبران قاعدة العمل الاستراتيجى ، ولكن هنا كذلك نجد أنفسنا أمام مفهومين : المفهوم الذى يحاول تعريف العمل الاكثر منطقية للقوات المتاحة (استراتيجية الميكانيكا العقلانية) والمفهوم الذى يهدف الى تحقيق العمل الاكثر تجنيبا لآمال العدو (استراتيجية التدبيرات) · ان هاتين الاستراتيجيتين التطبيقيتين تستخدمان كل من «الطريقتين» الاستراتيجيتين الكبيرتين لمجموع الاستراتيجية المباشرة والاستراتيجية غير المباشرة، ولكن اختيارهما أو الجمع فيما بينهما يعتمد على شروط خاصة بالعملية المقترح تنفيذها : لقد كانت «ديان بيان فو» مرحلة من مراحل «الميكانيكية العقلانية» فى حملة تمت تحت شعار الاستراتيجية غير المباشرة وعلى العكس فان عمليات المقاومة (ضد النازى) فى فرنسا لم تكن غير جانب من «التدابير» فى عملية « أوفرلورد» التى خططت جميعها على نهج الاستراتيجية المباشرة البحتة ·

وبتحليلنا على هذه الصورة خطوات التفكير الاستراتيجى فانه سينتهى بنا الامر الى الاعتراف من ناحية « بالاوضاع الدياليكتيكية » للأعداء ، والمحدد كل منها أربعة أبعاد (القوى المادية ، القوى المعنوية ، الزمان والمكان) ومن ناحية أخرى « التغيرات الدياليكتيكية » التى تعترى هذه الاوضاع فى الزمان والمكان بغرض تحقيق حرية العمل وهذا التتابع للأوضاع الدياليكتيكية الذى يعادل « فيلم » النضال هو ذلك الذى أسميناه « عامل المناورة » الذى يمزج مابين الميكانيكا العقلانية والتدابير فى اطار مبارزة من أجل تحقيق النتيجة المرجوة ·

وليست المشكلة فى هذه المبارزة هى تفادى ضربات العدو (على الرغم من أنه أمر يجب عمله) بل منع العدو من الاحتفاظ بالمبادأة وأخذها منه والاحتفاظ بها حتى النتيجة النهائية · ولهذا يجب أن تكون المناورة بتكهناتها غير جزافية كما يجب أن تمثل كل خطة مجموعة متجانسة من التكهنات التى تؤدى الى النتيجة (المرجوة) ·

ولكن « اللعب » فى ميدان الاستراتيجية لا يتم كما حدث فى لعبة الشطرنج بوساطة « أحجار » ذات قيمة دائمة ومحدودة وحلولها تشبه عملية طبخ تتالف فيها عناصر تخضع لتغيير مستمر ، فالحرب أو ـ النضال ـ يستخدم فى الواقع قوى مادية تتناسب مع عتاد العصر والقوى المعنوية . وتخضع هذه الاخيرة تماما للأفكار التى تسيطر على مدينة الفترة المعينة . ونتيجة لذلك تكون الاستراتيجية ضربا من ضروب الاختراع الدائم الذى يبنى على افتراضات يجب اختيارها فى خضم العمل (القتال) ويكون ثمن أخطاء التقدير فيها باهظا جدا لأن هذا الثمن هو الفشل . وهنا تكمن الصعوبة الكبرى للاستراتيجية خاصة فى العصور التى تتميز بالتطور السريع كما هو الحال فى الوقت الحالى .

وظل طابع التطور هذا غير معروف جيدا حتى هذه السنوات الاخيرة حتى أن بعض النظريات ذهبت الى حد اضفاء فضيلة العمل فى ظل عوامل ثابتة على الاستراتيجية مدعية أن التكتيك وحده هو الذى يتطور . وقد أجبر السلاح الذرى اليوم الناس على ادراك أن « اختيارات » الاستراتيجية ـ تحت مبادىء قليلة العدد وثابتة ـ هى بالضرورة اختيارات متغيرة تخضع للظروف السائدة الامر الذى يبرر تعدد « النماذج » ذلك التعدد الذى يناقض « الارثوذكسية » البحتة للنظريات القديمة .

ولهذا يصبح من الضرورى للحد من الاخطاء ذات النتائج البالغة الخطورة تنظيم دراسة الظروف العامة السائدة على خير وجه ممكن . ولقد أصبح من المهم جدا ، على عكس تقاليدنا ، التكهن بطريقة جيدة .. أصبح ذلك أكثر أهمية من توفير قوات ذات أهمية غير أكيدة . ولا توجد استراتيجية حديثة بدون أجهزة دراسة ذات امكانيات ضخمة وبدون منهج جيد جدا لتحليل المؤسسات وبدون معرفة تامة لتطور وامكانيات الاختراع فى جميع الميادين التى يمكن استخدامها ونحن لازلنا بعيدين جدا عن ذلك كله .

. . . . .

وأخيرا هناك ميادين كثيرة من الاستراتيجية لم تكتشف بعد بالكامل أو لم تكتشف على الاطلاق . فالاستراتيجية السياسية والديبلوماسية ، على الرغم من استخداماتها القديمة لا زالتا غير محددتي الصيغة في الواقع ، أما الاستراتيجية الاقتصادية التى تعد الآن معروفة بدرجة كافية بجوانبها السلمية فلم تدرس حتى الآن دراسة كافية فى جوانبها التأديبية . وتعد هذه مهاما عاجلة .

ولكن الامر الأهم يخص دراسة المكونات السيكولوجية للاستراتيجية لانه من الضرورى تحديد عوامل سيكولوجية الجماهير ، والجيوش، والقادة ، والحكومات، والسكان ، والرأى العام الدولى ... الخ ... لقد أصبح من المستحيل الاستمرار فى العمل بطريقة جزافية فى هذا الميدان حيث ارتكبت مؤخرا أخطاء جسيمة جاءت نتيجة تقدير لمستويات الاستراتيجية لقد أدت « موضة » معينة ذات طابع بدائى بعض الشىء للاستراتيجية الى عدم الارتقاء بغير مستوى التكتيك الذى لا يرتقى الىغير مستوى « التكتيكات » ومعروف أن هذه التكتيكات ليست لها قيمة اذا لم تمارس فى اطار استراتيجية سيكولوجية جيدة وهذه هى مشكلة تعريف « الخط السياسى العام » الذى درسناه فيما سبق . ومما لاشك فيه أن هذه المشكلة هىمن أصعب المشكلات وتخص نوعا خاصا من التفكير ربما يكون دياليكتيكيا .

هل يمكن أن نورد رأيا ختاميا بالنسبة لمجموعة من التحليلات على درجة كبيرة من التعقيد مثل تلك التى تفرضها دراسة ، حتى مختصرة ، موجزة ، للاستراتيجية؟

ان هذا الفن العريق فى القدم الذى ظل لفترة طويلة ذا طابع سرى ولذا ألقى به منذ وقت قريب فى متحف الاشياء الميتة قد بعث حديثا تحت ضغط الظروف وهو وسيلة الى دخول مرحلة الشباب من جديد . ولكن على الاستراتيجية ، لكى يمكنها أن تتحكم فى ظواهر على درجة من الضخامة والتنوع كتلك الخاصة بالحرب الباردة ، والحرب الشاملة ، الحرب النووية ، الحرب الذرية ، أن تعتريها توسعات ضخمة وتجديدات عميقة الجذور .

وهذا ما حاولناه (هنا) مقتنعين بأن الفكرة فى الاستراتيجية ، كما فى جميع الميادين الانسانية هى التى يجب أن تتحكم وتوجه .

ولكن ذلك هو من ضروب الفلسفة ...

الفهـــرس

صفحة

تقديم بقلم ب. هـ. ليدل هارت ٣
مقـــدمة (المؤلف) ٥
الفصل الأول : نظرة عامة على الاستراتيجية ٨
تحليل الاستراتيجية ، تعريف الاستراتيجية ٩
هدف الاستراتيجية ١٠
وسائل الاستراتيجية ١١
تصميم الخطة الاستراتيجية ، نماذج استراتيجية ١٢
نتـــائج : ١٤
التقسيمات الفرعية الاستراتيجية : ١٥
مبادىء الاستراتيجية ، النظريات ١٧
المفهوم الرئيسى ١٨
عناصر القرار الاستراتيجى ، ١٩
جدول رقم (١) تعريف ابتداء من المبارزة بالسيف (الشيش) . . ٢٠
(ب) مذاهب المناورة ، جدول رقم (٢) المرادفات فى مختلف الاستراتيجيات ٢٣
(ج) أنماط استراتيجية : ٢٦
(د) عامل التغير ٢٧
نتائج ، تطبيق الاستراتيجية : ٢٨
نتـــائج ٣٠
الفصل الثانى : الاستراتيجية العسكرية التقليدية ٣٢
استراتيجية المعركة ٣٣
استراتيجية العمليات البرية : ٣٥
المرحلة الاولى : عمليات ومعارك متميزة ومستقلة عن بعضها البعض ٣٦
المرحلة الثانية : العمليات والمعارك متميزة ولكن مرتبطة . . . ٣٦

صفحة

المرحلة الثالثة : اختلاط العمليات والمعـارك ٣٨
المرحلة الرابعة : جبهة المعركة تساوى مسرح العمليات . . . ٣٨
المرحلة الخامسة : المعركة تمهد للعمليات ٣٩
المرحلةالسادسة : جبهة المعركة فىمستوى منخفض عنمسرح العمليات ٤٠
نتائج ، العمليات والسلوك الاستراتيجى : ٤١
العمليات والمبارزة (الشيش) الاستراتيجية : ٤٢
الفصل الثالث : الاسراتيجية الذرية : ٤٤
شروط وخصائص الاستراتيجية : ٤٥
(أ) استراتيجية الردع ، الردع النووى ٤٨
(ب) عمليات الردع الاضافية ٥٠
استراتيجية الحرب : ٥٢
الاسلوب العام لتطور الاستراتيجية الذرية : ٥٥
ملاحظات ختامية للاستراتيجية الذرية ٦٠
الفصل الرابع : الاستراتيجية غير المباشرة ٦٤
مفهوم الاستراتيجية غير المباشرة ، مفهوم المناورة الخارجية . . ٦٦
مفهوم المناورة الداخليـــة ٦٧
المناورة بوساطة الانهـــاك ٦٨
الميـدان المادى ٦٩
الميدان السيكولوجى ٧٠
مناورة الخرشـوف ٧١
الاستعراضات الاستراتيجية غير المباشرة ٧٢
المناورة الخارجية المضادة ٧٤
المناورة الداخليـة المضادة ٧٥
آراء ختامية حول الاستراتيجية غير المباشرة ٧٧
الفصل الخامس : ملاحظات ختامية عن الاستراتيجية ٨٠